

لا غـنًى عَنها لـكلّ مُسـلم

د.عبد السَّلام زاقـُود

Zagood1984@yahoo.com


مكتبة
كنوز المعرفة
شارع جيهان - أمام بوابة الجامعة ت: ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦
Tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظه

مكتبـة كنـوز المعرفـة

اسم الكتاب: وقفات لا غنى عنها لكل مسلم

إعـــــداد: عبد السلام زاقود

رقم الإيداع:

الطبعه الاولى 2012





{ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟

هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ }

[يونس: ٥٨]

* * *

الإهداء

إليك يا سيدي يا رسول الله...

سائلاً الله تعالى أن يرزقني في المنام رؤيتك، وفي الصحوة زيارتك، وفي يوم القيامة شفاعتك، وفي الجنة صحبتك ورفقتك.

إنه هو السميع العليم، آمين.

إليكما والدي الكريمين...

سائلاً الله تعالى أن يمتعكما بالصحة والعافية وطول العمر، وأن يرزقني رؤيتكما قبل الممات لأقبل جبين كليكما قائلاً:{رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: ٢٤] آمين.

إليكم أيها المسلمون والمسلمات...

سائلاً الله تعالى أن يوصل حبل المودة بيني وبينكم ، فنتبادل الدعاء الصادق في ظهر الغيب (غفر الله لي ولكم) آمين.

مع كل الود...

من/ عبد السلام زاقود

* * *

وقفة: اعتراف بالفضل والجميل

حمدًا لك اللهم، بحمدك أكتفي، ومن حمدك لا أكتفي، ولا أحمدُ سواك، وأثني عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لا أحصي، ولا يحصي غيري ثناءً عليك.

وأصلي وأسلم دائمًا، على المبعوث رحمة للعالمين، حبيبي وقرة عيني، محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وبعدُ:

* فالفضل لمن بيده الفضل،{قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ } [آل عمران: ٧٣ - ٧٤]، فلله الفضل، والجميل، على ما أسبغه عليّ من نعمه ظاهرة وباطنة، وعلى ما اختصني به من رحمته، وما ألهمنيه من توفيق على إنجاز هذا الكتاب بصورة خاصة، وعلى توفيقه إياي في حياتي كلها، وأسأله تعالى المزيد من فضله وتوفيقه، وهذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر، وإني بإذن الله لمن الشاكرين، والحمد لله رب العالمين.

* ثم إن الفضل والجميل، لمعلم البشرية، ورسول الإنسانية، الذي علّمه ربه بالقلم، فتعلم وعلّم، فاللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمدٍ ﷺ، صلاة تفتح بها - لي وللقارئ الكريم وسائر المؤمنين - أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وحيث إن الله جلّت قدرته، أرشدنا بأن نعرف لأهل الحقوق حقوقهم، ولأصحاب الفضل فضلهم، بقوله:{وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}

[البقرة: ٢٣٧].

وها هو الحبيبُ محمد ﷺ، يبين لنا عظيم الصلة بين شكر الله تعالى، وشكر الناس، فعند أبي داود:﴿لا يشكر الله من لم يشكر الناس﴾.

وقديمًا قيل: (لا يعرفُ الفضل إلاّ ذووه)، فإنني أبتغي أن أسجل شكري وتقديري، واعترافي بالفضل والجميل، لكلٍ من:

* إلى الوالدين الحبيبين، أمي وأبي، فهما يفرحان لفرحي، ويحزنان بحزني، وسعادتهما من سعادتي، وكم تغمرني السعادة حينما أراهما في صحة وعافية، سائلاً الله تعالى أن يديم عليهما ذلك، وأرجو من الله أن يمد في عُمريهما، ويرزقني رضاهما بعد رضاه سبحانه وتعالى.

ولا يسعني إلا أن أبادر إلى ردّ قسطٍ من جمائلهما التي لا تحصى، وفضائلهما التي لا تعدّ عليّ، ولقد كتبت في ثنايا هذا الكتاب وقفة: مع الوالدين، أتمنى أن أطبق مع والدي كل ما كتبت فيها، والآن أعترف لهما بالفضل والجميل، وأقول:{رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا} [الإسراء: ٢٤]، وأسألك الدعاء لي ولهما يا أخي الكريم.

* إلى إخوتي الأعزاء، فكم هي قسوة الحياة دون أخٍ يسليك، ويقف إلى جانبك، وذلك هو شأن إخوتي، فطبيعي أن أختلف رأيًا مع بعضهم، وأفترق عنهم من حين لآخر، لأنها الحياة، ولكن هم أشقائي، وأحبابي، وأنا بهم ومعهم أكون، وهم كذلك، أدام الله علينا الألفة والمحبة والاجتماع، إنه الرءوف الرحيم.

ولا أنسى أن أصارحكم بما يختلج في صدري، عن أحبتي وإخوتي، فإن كنت والله أحمل حبًا لجميعهم، ويشهد الله، فإن للدكتور محمدٍ منهم مزية، فلا أجدني إلا أركن إليه أكثر، فهو أخي،

وصديقي، وهو الناصح الأمين، حفظه الله وجميع إخوتي.

* إلى أخواتي الإناث، شقيقاتي العزيزات، أُشهدُ الله على ما في قلبي تجاهكن من المحبة والتقدير، ولا أنسى حديث الحبيب محمد ﷺ، وأن من أحسن إلى الإناث - من الزوجات والبنات والأخوات - فله الجنة، ولذا فأرجو أن أكون لكنّ من المحسنين.

ومن بين شقيقاتي، أُختَيّ اللتين قامتا على شؤوني كلها، طيلة فترة إعداد هذا الكتاب، فما كتبتُ بارتياح إلاّ بفضلهنّ بعد فضل الله تعالى، وأبسط الأمر، أن قهوتي وما أريدُ، كان ثقلاً على أكتافهن، فأسأل الله تعالى أن يُحقق لهن في هذه الحياة الفانية ما يبتغيانه.

أما في الآخرة، فأسأل الله بوجهه الكريم أن يجعلهن وجميع أخواتي، ونساء المؤمنين في أعلى عليّين، إنه هو السميع العليم.

* ومن باب الصدق مع الله، فلقد استفدتُّ كثيرًا وكثيرًا، من كتاب: " لا تحزن وابتسم للحياة "، لأخي وصديقي، الشيخ العزيز/ محمود المصري، وقد أهداني ذلك الكتاب عندما كنا سويًا في مدينة طرابلس، على هامش إحدى مسابقات القرآن الكريم.

وبهذه المناسبة فإني أضرع إلى الله تعالى، أن يجزي كل المتقدمين عني خير الجزاء، وأن يجمعني وإياهم بعد أن جمعنا في هذه الفانية، أن يجمعنا في الفردوس الأعلى، مع النبي محمدٍ ﷺ، إنه على ذلك لقدير.

ولجميع المسلمين خالص الود والسلام.

الفقير إلى عفو ربه دائمًا
عبد السلام جمعة زاقود
مدينة الخمس ليبيا

* * *

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١} [النساء: ١].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١} [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأخ الحبيب المبارك، ويا أيتها الأخت المسلمة الفاضلة، إن الله سبحانه وتعالى خلقنا لغاية، وأوجدنا على هذه البسيطة لنحقق الغاية من خلقنا، فهو جلّت قدرته، خلق الخلق ليعبدوه، ونصب لهم الأدلة على عظمته ليخافوه، قال تعالى:{وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦} [الذاريات: ٥٦].

وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك بلا شك، فإن الإنسان بحاجة

لأن يعرف سبلاً توصله لعبادة ربه، وتدفع به إلى الأمام في هذه الحياة.

وبعد أن منّ الله تعالى عليّ بالدعوة إليه، من خلال الخطابة والوعظ، والندوات والمؤتمرات، لما يربو على عشر سنين، فرأيت، أنه لا بد أن أقف وقفة صدقٍ مع الله، وأقدم لنفسي، ولأحبتي، ولعموم المسلمين، كتابًا مبسطًا، يجد فيه المسلم ضالته، بأسلوبٍ ميسر، وبألفاظ سهلة، وعبارات منتقاة، فكتبت هذا الكتاب، الذي هو أقرب إليّ من كل ما كتبتُ فيما سبق، وسميته " وقفات "، ورأيت أنه لا غنًى عنها لكل مسلم.

فيا أيها المسلم، إن كنت ممّن يرغب في التعرف على الله، أو التعرف على المصطفى ﷺ، وإن كنت ترغب في معرفة حقيقة الحياة الفانية، فها هو كتاب وقفات، يقدم لك ما تريده، فهو بإذن الله تعالى، يقرب إلى الله، ويبين حقيقة الحياة، وما ينبغي للمسلم فيها، وهو طارد للأحزان، وجالب للسعادة.

إن هذا الكتاب، يخاطب القلوب الحائرة، والعقول التائهة، والنفوس المشرئبة، فلكل أمرٍ ستجدُ و" قفة "، وستجدها بلسمًا لجراحك، ودواءً لأمراضك، وهادية إياك إلى طريق الحق والرشاد.

إن كتاب وقفات، يقول للمحزونين، هلموا إلى السعادة، وللحيارى تعالوا إلى أيسر الطرق، وللمصابين اصبروا، وها هو بين يديك.

ولن أطريه كثيرًا، فلك فرصة قراءته وقفة وقفة، ثم لك أن تحكم على ما حواه هذا الكتاب من وقفات.

فقط ما أرجوه أيها القارئ الكريم، وأنت تقلب صفحات هذا الكتاب، أن تلبس نظارة الإنصاف، وأن تنظر بعين الرضا، وإذا ما أعجبتك وقفة فأعد قراءتها، ثم اعمل بما كُتب فيها، وخصّني بدعوة

خالصة في ظهر الغيب.

وأرجوك ملحًا، أخي الكريم، أن تنبهني لما قد يعتوره من خطأ أو نقص أو قصور، فإن الكمال لله وحده لا شريك الله، وإن النقص من طبائع البشر، وصدق الله العظيم،{وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ} [يوسف: ٧٦].

وختامًا فالله أسأل أن يوفقني، وأن يسدد قولي، ويلهمني الرشد والصواب، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يفتح لي به أبوابًا أوصدت، وطرقًا أغلقت، مع إيماني الكامل بأنه:{ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا} [فاطر: ٢]، وأن قول الله حق:{فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦} [الشرح: ٥، ٦]، والله على كل شيء قدير.

كما أسأله أن يريني الحق حقًا ويرزقني اتّباعه، والباطل باطلاً ويرزقني اجتنابه، وأعوذ به من قول ما ليس لي به علم،{إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨].

الأربعاء
23شوال 1432هـ
الموافق21/ 9/ 2011

عبد السلام جمعة زاقود
Zagood1984@yahoo.com

* * *

وقفة: مع الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾} [البقرة: ٢٥٥].

لا إله إلا الله الحي القيوم، فلم أجد ولا يجد غيري وصفًا لله تعالى كما وصف نفسه بنفسه، وفي كتابه، في هذه الآية سالفة الذكر من الذكر الحكيم، فلا يملك الكاتبون، ولا يقوى ناظمو الشعر في أشعارهم، ولا يقدر الأدباء في نثرهم، ولا البلغاء في فصاحتهم أن يصفوا الله جل وعلا، أو أن يجعلوا له وصفًا كهذا، فحقًا وصدقًا هو الحي القيوم، لا ينام وخلقه ينامون، يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا، فسبحان من عنت له الوجوه،{وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ} [طه: ١١١].

فيا أخي، ويا أختاه: الله الله، له الحمد بجميع المحامد، وعليه الثناء، موصوف بأكمل الصفات، وله الأسماء الحسنى، وهو العلي العظيم.

فكونوا مع الله، يكن الله معكم، وإذا كان معكم الله، فمعكم الجند الذي لا يُغلب، والملك الذي لا يُسلب، والقوة التي لا تُرهب، والعز الذي لا يذهب.

مع الله، احفظوا الله يحفظكم، إذا سألتم فاسألوا الله، وإذا استعنتم فاستعينوا بالله، وإذا استغفرتم فاستغفروا الله،{وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣].

مع الله، الثناء عليه، والتضرع إليه، والمسلم دائمًا يستشعر أنه

بين يدي ربه، وفي كلٍ له الله.

مع الله، أوصى أحد الصالحين ولده قائلاً: يا بني من وجد الله فما فقد، ومن فقد الله فما وجد، وقال آخر: إذا كان الله معك فممّن تخاف، وإذا كان الله ضدك فمن ترجو.

مع الله يرفع قدرك، ويجعلك عزيزًا مهابًا، وإن كنت بلا نسبٍ ولا مالٍ ولا جاه، فها هو بلال رضي الله عنه مع الله، فصار مؤذن رسول الله ﷺ ، ومع الله سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وغيرهم كثير ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه.

مع الله، قف وقفة صدقٍ وكن مع الله صادقًا، ولله مخلصًا، وفي الله مؤملاً، وفيما عند الله راغبًا، تكن أسعد الناس.

مع الله، لا حزن، ولا هم، ولا غم، ولا نصب، ولا يأس، ولا قنوط، ولا..، ولا..، ولا..، كفاك أن تقول:{إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا } [التوبة: ٤٠]، واصرخ بصوتٍ عالٍ:{إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ } [الشعراء: ٦٢].

الله هو الله، الأنيس في الوحشة، والصاحب في الخلوة، والرفيق في الطريق، سبحانه يعلم السر وأخفى، فهيا أخي المسلم لا تتردد، ويا مسلمة أسرعي لنكن مع الله.

يا صاحب الهم إن الهم منفرج ::: أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه ::: لا تيأسن فإن الكافي الله
إذا بُليت فثق بالله وارض به ::: فإن الذي يكشف البلوى هو الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة ::: لا تجزعن فإن الصانع الله
والله ما لك غير الله من أحد ::: فحسبك الله في كلٍ لك الله

* * *

وقفة: مع التوحيد

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :﴿**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله،....**﴾ متفق عليه.

لقد جاء في هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه ﷺ القواعد والأسس التي بني عليها دين الله الإسلام، الدين الذي ارتضاه البارئ تعالى وتقدس.

والجانب العقدي في الحديث المتقدم هو الشهادتان، وهما: " أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله "، ومعناهما: أن المسلم يعتقد بأن لا معبود بحق إلا الله، فالله تعالى لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا معبود بحقٍ إلا هو، فيجب علينا طاعته بما شرع، والعمل بهداه جلّت قدرته، كما أن المؤمن يعتقد جازمًا أن محمدًا ﷺ أرسل إلى الخلق كافة،{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾} [سبأ: ٢٨]، وختم الله به النبيين، تجب طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وعلى المسلم أن يكثر من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، مع العلم أن التمسك بالكتاب والسنة برهان على صدق التمسك بهاتين الشهادتين.

وبحسب صفاء التوحيد، ونقائه من الشوائب والزوائد التي قد تخالطه، يكون المؤمن في سعة صدر، ونور ويقين من ربه تعالى.

وبالمقابل فإنه لا راحة لمشرك، ولا سعادة لملحد، ولا ارتياح لكافر، فالله تعالى يقول:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾} [طه: ١٢٤]، ولينظر المسلم، وليقف ويتأمل، كيف إن المشركين يعيشون حيارى، تراهم في أودية

الضلال يهيمون، لا لهم ولا عليهم، يتخبطون في غياهب الدنيا، ويسرحون في لجج الظلام الحالك،{أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ} [الأعراف: ١٧٩].

أما الموحدون، فهم مع الله، حالهم في نور، صدورهم في انشراح، ونفوسهم في ارتياح، وصدق الله العظيم،{فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا} [الأنعام: ١٢٥]، ولله در الموحدين، حيث قال سبحانه:{أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ} [الزمر: ٢٢].

فهبوا أمة التوحيد إلى توحيد الله، وحافظوا على نقائه وصفائه، وبهائه وجماله، البسوا تاج التوحيد على رؤوسكم، ولا تخدشوا توحيدكم لله بما يناقضه، فتدخلوا في وعيده سبحانه بضيق الصدر، والرهبة والاضطراب لأعداء التوحيد،{سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا} [آل عمران: ١٥١]، وحذار حذار من نقض التوحيد،{فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِ} [الزمر: ٢٢].

فاللهم اجعلنا والقارئ الكريم ممّن يشهدون لك بالوحدانية، ولنبيك بالرسالة، واحشرنا يوم الفزع الأكبر مع الموحدين الآمنين... اللهم آمين.

* * *

وقفة: مع ذكر الله تعالى

يا لله، والله أكبر، نعم أخي المؤمن، نعم أختي المؤمنة، فالله تقدست أسماؤه يناديكم بأعظم صفة تحملونها، وبأحب ألقابكم إليكم، فهاهو يناديكم بالإيمان، أوليس كلنا يحب أن يقال له يا مؤمن، ويا مؤمنة، ولكن ماذا وراء ذلك؛ يقول عز اسمه:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾} [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

الله تعالى يدعوك لأن تذكره، ويناديك لتسبحه، ولست وحدك، {وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا} [الإسراء: ٤٤].

الله أكبر، لأنه خلقك فاذكره، ولأنه سواك فاذكره، ولأنه عدّلك فاذكره، ولأنه رزقك، لأنه هداك الصراط المستقيم، لأنه أنعم عليك، ولأنه غفر لك، ولأنه صبر، ولأنه تجاوز، ولأنه....، ولأنه...، ولأنه...، فهيا عباد الله، اذكروا الله ذكرًا كثيرًا.

الذكر حياة القلوب، وفي الحديث:《**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره كمثل الحي والميت**》.

اذكروا الله يذكركم، اذكروا الله سرًا وجهارًا، اذكروا الله في أنفسكم، وفي ملأ من البشر، يذكركم الله في نفسه، ويذكركم في ملأ خير من الملأ الذين ستذكرون الله فيهم، وشتان شتان، شتان بين الثرى والثريا.

بذكر الله تحلو المجالس، وتصفو النفوس، وتطمئن القلوب، {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨].

فكم هو البون شاسع بين مجالس يذكر فيها اسم الله، وأخرى

خلت من ذكره تعالى، وكم هو الفارق كبير بين لسان لا يزال رطبًا من ذكر الله، ولسان بذيء لا يتكلم بخير، ولا ينطق بحقٍ، والله المستعان.

فالله الله، في ألسنتكم، حركوها بذكر الله، واجعلوها تلهج بلا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويا لسرور الذاكرين، الذين رزقهم الله لسانًا ذاكرًا.

كن صادقًا مع الله واذكره، كن محبًا لله واذكره، أكثر من ذكر الله تكن أسعد الناس، فدائمًا وأبدًا سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولله الحمد.

* * *

وقفة: مع إحسانِ الظن بالله

يا عبد الله، يا مسلم، أحسن الظن بربك الذي خلقك فسواك فعدلك، في أحسن صورة ما شاء ركبك.

أحسن الظن بالله تعالى، وتذكر حديثه القدسي الذي يقول فيه كما أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ :﴿**يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**﴾.

فما أكرمك يا الله لمن أحسن الظن بك، فلا تحرموا أنفسكم من كرم ربكم، وأحسنوا به الظن في أموركم كلها.

وعند الإمام أحمد في المسند، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ :﴿**أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بي خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله**﴾، ووالله الذي لا إله إلا هو، لَمِن أشقى الناس من يقرأ هذا الحديث أو يسمعه، ثم يسيء الظن بالحي القيوم، واللهم ارزقنا والقارئ الكريم حسن الظن بك دائمًا، إنك على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

وإحسان الظن بالله ليس له وقت أو حد، فكما يحسن المؤمن الظن بربه حال حياته، فلا يموتن إلا وهو يحسن الظن بالله تقدست أسماؤه، إذ روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول:﴿**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل**﴾.

وقد بلغ ﷺ من إحسان الظن بربه منتهاه، ولذا كان أكثر الناس إحسانًا للظن بالله، وحسبك أن تعلم قوله لأبي بكر يوم كانا في الغار،

والصديق رضي الله عنه يقول كما في الصحيحين: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فيقول من وثق بربه، وأحسن الظن به: ﴿ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما﴾.

ولله در القائل:

حسن ظني بحسن عفوك يا رب ::: جميل وأنت مالك أمري
صنت سري عن القرابة والأهل ::: جميعًا وكنت موضع سري
ثقة بالذي لديك من الستر ::: فلا تخزني يوم نشري
يوم هتك الستور عن حجب الغيب ::: فلا تهتكن للناس ستري
لقنّي حجتي وإن لم تكن يا رب ::: لي حجة ولا وجه عذرِ

كما حذر سلفنا الصالح رضي الله عنهم من إساءة الظن بذي الجلال والإكرام، فهذا سفيان الثوري رحمه الله قد جثا على ركبتيه عشية يوم عرفة، وصارت عيناه تذرفان الدموع، فسئل رحمه الله من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ فقال: الذي يظن أن الله عز وجل لا يغفر له.

فيا أخي، ويا أختاه، ولكل مؤمن، تذكر قول القائل:

فلا تظنن بربك ظن سوء ::: فإن الله أولى بالجميل
ولا تظنن بنفسك قط خيرًا ::: فكيف بظالم جانٍ خجول
وظن بنفسك السوء تجدها ::: كذلك خيرها كالمستحيل
وما بك من تقًى فيها وخير ::: فتلك مواهب الرب الجليل
وليس لها ولا منها ولكن ::: من الرحمن فاشكر للدليل

فيا رباه، لي ولجميع المؤمنين، اجعلنا ممن أحسنوا بك الظن، وأساؤوا الظن بأنفسهم، يا رب العالمين.

* * *

وقفة: مع الرضا بقضاء الله وقدره

جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :《إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة》، وفي آي الذكر الحكيم، يقول السميع العليم:{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ (٤٩)} [القمر: ٤٩]، وفي آية أخرى يقول جل جلاله: {وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ} [الرعد: ٨].

فالمؤمن التقي النقي، يعلم يقيناً بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، يعلم يقينًا بأن الضر والنفع بيد الله، ولذا لا راد لقضاء الله، ولا اعتراض عليه، ولا تذمر مما قدره سبحانه وتعالى، فما قدره الله كائن لا محالة، ولكن يا للعجب والسرور الذي يلحق بالمؤمن، وليس ذلك إلا للمؤمن، جعلني الله وإياكم منهم بمنه وكرمه إنه هو السميع المجيب، فعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :《عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له》.

الرضا بقضاء الله وقدره عنوان الإيمان، ودليل صدق التوحيد، الرضا بقضاء الله وقدره علاج الأمراض، وبلسم الجراحات، وسلوى المنكوبين، فالمؤمنون دائمًا يتذكرون حديث نبيهم ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما:《يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا استعنت فاستعن بالله، وإذا سألت فاسأل الله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، فلن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء، فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف》.

فهل من مؤمن يخشى الضرر من البشر، وهو مؤمن بقضاء الله وقدره، مؤمن بأن الأقلام رفعت، وأن الصحف جفت، وأن كل شيء في كتاب الله، فعلام الاعتراض وقد قضى الله أمرًا كان مفعولاً؟ ولم التّسخط وكان أمر الله مقضيًا؟

فطوبى لمن آمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره،{ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤} [الأنفال: ٤].

* * *

وقفة: مع التوكل

لعلنا جميعًا سمعنا بتلك القصة، التي لا يسعنا إلا أن نأخذ العظة والعبرة منها، إنها قصة التوكل، حيث جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فترك ناقته بباب المسجد سائبة بلا عقال، وزعم بذلك أنه متوكل على الله في حراستها وبقائها في مكانها، فقال له النبي الكريم كلمته المشهورة، والتي سرت في المسلمين فوق مسرى الأمثال، (اعقلها وتوكل)، روى هذه القصة الترمذي وابن خزيمة.

اعقلها وتوكل، كلمة حفظها الشباب والشيب، والرجال والنساء، ولكن هل عملوا بها؟

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى جماعة بعد صلاة الجمعة اتخذوا مكانًا فجلسوا فيه، ولم ينتشروا بعد الصلاة، فقال من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء المتوكِّلون، فقال: بل هؤلاء المتواكلون، ألم يقرءوا قوله تعالى:{ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا } [الجمعة: ١٠]، ثم قال: (إن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة).

فيا أخي الحبيب توكل على الله، ويا أختي الفاضلة توكلي على الله،{وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [المائدة: ٢٣].

إن التوكل على الله تعالى زاد المؤمنين، يثبّتهم عند الفزع، ويدفعهم إلى الإقدام وحسن العمل، ويملأ قلوبهم بالعزة والطمأنينة.

والعجب كل العجب، من أولائك الذين لا يتوكلون على ربهم، فيظنون أن الأمر بأيديهم، أو أنه واقف على تفكيرهم، وليسوا بأسوأ حالاً من الذين ظنوا بأن التوكل وحده كافٍ لإنجاز ما يريدون فتركوا الأخذ بالأسباب، ولا يعدو كون هؤلاء وسابقيهم من المتواكلين لا

المتوكّلين.

قال بعض العارفين: (ترك الأخذ بالأسباب معصية، والتوكل على الأسباب شرك)، وقال آخر: (خذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم اترك الأسباب وكأنها لا شيء)، وما هذا وذاك إلا من قبيل: " اعقلها وتوكل ".

فهيا بنا جميعًا نتوكل على الله، فمن توكل على الله كفاه، قال تعالى:{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٣].

التوكل على الله عمل جادٌ، وعزيمة وقادة، وإصرار دؤوب، فلا تواكل، ولا تراخٍ، ولا كسل، مع ثقة في الله، ووثوق فيه سبحانه، ومن هنا قوله عز وجل:{نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [العنكبوت: ٥٨، ٥٩].

ثم مالنا لا نتوكل على الله ربنا، أنسينا قوله سبحانه:{ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾} [إبراهيم: ١٢].

فيا مريد التوفيق في شؤونك كلها، فعلى الله توكل، ويا طالب النجاح كن متوكلاً على الله، وثق به، ولا تتركن بذل الأسباب حال توكلك على العزيز الوهاب، قال تبارك وتعالى:{ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾} [الفرقان: ٥٨].

* * *

وقفة: مع المصطفى ﷺ

اصطفى الله تعالى محمدًا ﷺ ، وفضله لا على عامة البشر فحسب، بل على خيرتهم من الأنبياء والمرسلين، فهو اللبنة، وهو الخاتم صلوات ربي وسلامه عليه.

ولا غرو أن تنال شخصية كشخصيته ﷺ تكريم الله تعالى وتبارك، وأن تحظى بتقديرٍ ممّن لقيَه، أو سمع به، أو قرأ عنه، وأن تستحق تلكم الشخصية، وذلكم النبي المصطفى خلود الذكر في السماء والأرض، فما من لحظة في الكون، إلا ويرتفع في الكون آذان، ويعلو في الأذان نغم، أشهد أن محمدًا رسول الله، ويُتبع هذا النغم في نفوس المؤمنين، وعلى ألسنتهم ﷺ .

فحري بنا أيها الأحبة في الله، حري بنا أن نتعلم سيرته ﷺ ، وأن نعلمها لأبنائنا، نحيا في أفيائها، ونعيش في ظلالها، ونتأمل في عبرها، ونتنسّم من عبيرها، فهو المؤيد بالوحي الإلهي، وهو رحمة الله للعالمين.

لقد كان نبيكم أحبتي معلمًا ناصحًا، ومربيًا فاضلاً، لم يأل جهدًا في تقديم أجدى الطرق التربوية خلال مراحل دعوته، فحياته أنموذج للشاب المستقيم في سلوكه، والأنموذج الرائع للداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ولرئيس الدولة الذي يسوس الأمور بحكمة بالغة.

نبينا ﷺ هو الزوج المثالي في حسن معاملته، والأب الرحيم في حنوّه وعاطفته، وهو القائد الحربي الماهر، والسياسي المحنك، والعابد المتدين، وبلا شكٍ هو سيد ولد آدم.

دُعي فأجاب، وسئل فأعطى، وأوذي فصبر، وانتصر فرحم، وظفر فعفا، فهو الأسوة، وهو القدوة، وهو المثل الأعلى لبني الأمة

جميعًا، كيف لا وربه يقول:{ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١} [الأحزاب: ٢١].

لقد ضرب ﷺ أروع الأمثلة في التضحية والفداء، فهلاّ تعلمنا ذلك من سيرته، وعلمناه لأبنائنا، وبناتنا، حتى تستقيم على هديه حياتنا؟

فمع المصطفى أيها الشباب، ومع المصطفى أيها الرجال، ويأيتها النساء، اقرءوا سيرته، وتذكروا حالته، واستحضروا هديه، والتزموا بسنته، واعلموا أنه:{مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠} [النساء: ٨٠].

فاللهم ارزقنا والقارئ الكريم حب نبيكﷺ، وارزقنا في الصحوة زيارته، وفي المنام رؤيته، وفي القيامة شفاعته، وفي الجنة صحبته ورفقته، إنك ولي ذلك والقادر عليه يا رب العالمين.

* * *

وقفة: مع أخلاق المصطفى ﷺ

تعالوا بنا لنبحر في أخلاق رجل، حصر دعوته في إتمام مكارم الأخلاق، وإذا كان الحال كذلك فكيف تكون أخلاقه؟

فبعد أن اصطفى الحي القيوم نبيه محمدًا ﷺ لحمل أمانته، وتبليغ رسالته، امتدحه تعالى فقال:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [القلم: ٤].

وهاهو ﷺ يقول فيما رواه أحمد في مسنده:﴿**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**﴾.

فيا عبد الله، ويا مسلم، إن الحديث عن أخلاق المصطفى ﷺ حديث طويل، ومع ذلك فهو شيّق وجميل، حديث ذو شجون، إذ إن النفس لتسمو، وتزداد القلوب إيمانًا عند سماعها الحديث عن أخلاق الحبيب ﷺ ، وبخاصة إذا ما علمت أخي الكريم، أن الله تعالى قد جمع في نبيه جمال الخَلْق والخُلُق، جمال الصورة والهيئة، جمال المحامد والفضائل، فسبحان الله العظيم.

فلم يعرف في تأريخ حياته أي شطط أو انحراف، أو صفة مذمومة، أو خُلق سيئ قط، قالت أمنا خديجة رضي الله عنها واصفة إياه ﷺ : (...إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر).

وليس خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها فحسب، بل لقد كان كما قالت رضي الله عنها، وكان كما روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: (كان خلُقه القرآن)، رواه أحمد والبيهقي.

ذلكم هو المقصود في خطاب ربه:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [القلم: ٤]، ولقد تحدث عنه أصحابه، ووصفوا أخلاقه، فكانت تلك الأخلاق أنموذجًا به يُحتذى، ومثالاً به يُقتدى، يقول هند بن أبي هالة: (كان

رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يُؤْيَس منه راجيه ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: " المراء، والإكثار، ومما لا يعنيه "، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحدًا، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، لا يقبل الثناء إلا من مكافئٍ، ولا يقطع على أحد حديثه، وجمع له الحلم والصبر)، رواه الطبراني.

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يصف صاحبه وخليله محمدًا ﷺ فيقول: (كان يُقبل جميعًا، ويدبر جميعًا، بأبي وأمي لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق).

من أخلاق الحبيب المصطفى أيها الإخوة، العلم، والحلم، والرفق، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والصدق، والأمانة، والصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، والسكينة، والجود، وحسن المعاشرة، يؤلف القلوب، ويجمع النفوس، ويصافي بين الناس، محمد ﷺ لا يعادي، ولا يصخب، ولا يسيء، ولا يفحش في قولٍ أو عمل، هو الصادق الأمين، ورحمة الله للعالمين.

فهيا أخي الحبيب اغترف غرفة من كل خلق، وليكن لك في الاقتداء بأخلاق نبيك فضل السبق، حتى لا تتخلف عن ركبه، وحتى تلحق به ﷺ ، وبصحبه رضي الله عنهم ورضوا عنه.

يا لله من أخلاق رجلٍ خلقه القرآن، فما ساء قط، ولا ضرب بيده خادمًا ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل، ولله

در أنس بن مالك رضي الله عنه وهو يقول عن حبيبه ﷺ : (خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فو الله ما قال لي أفٍ قط، ولا قال لشيء صنعته لم صنعت كذا، ولا لشيء لم أصنعه لِمَ لَمْ تصنع)، رواه البخاري.

أخلاق نبيلة، رفعة في غير كبر، وتواضع في غير ذلة، وهيبة في قلوب الناس، هيبة الرجل الذي اختاره الله تعالى رسولاً ونبياً، ويقول لمن دخل عليه فأصابته من هيبة النبي ﷺ رعدة: ﴿**هوّن عليك، فإني لست بملك، أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد**﴾، رواه الحاكم.

فما ذكر هو وقفة تأمل مع جانب من جوانب أخلاق نبينا ورسولنا محمد ﷺ ، نسأل الله أن ينفعنا بها، ويأخذ بأيدينا كي نقتدي به ﷺ ، ونتأسى به وبأخلاقه النبيلة.

وإذا أردنا لأنفسنا النجاة، ولأمتنا النهوض من كبوتها، ولسفينتها أن ترسوَ على بر الأمان، فلا بد لنا من التخلق بأخلاق رسولنا الكريم، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

وقفة: مع الجنة - جعلني الله وإياكم من أهلها -

هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها الدر والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، ولا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم، تلك هي جنة الله تعالى لها ثمانية أبواب، جعلني الله وإياكم من أهلها.

دار أعدها الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكره كدر، ولا يعتريه خلل، جاء في الحديث القدسي: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قال رسول الله ﷺ : اقرءوا إن شئتم:{ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾} [السجدة: ١٧]، رواه البخاري.

فَلِمَن تعلقت قلوبهم بحب الشهوات والملذات الدنيوية، وانشغلت عقولهم بزخارف الدنيا، التفتوا جميعًا لما أعده الله تعالى، ابتعدوا عن الملذات الفانية لتتنعموا بالملذات الباقية الخالدة، وصدق الله العظيم: { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾} [آل عمران: ١٤ - ١٥].

بناء الجنة أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، بناؤها من الذهب والفضة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قلنا الجنة ما بناؤها؟ فقال ﷺ :«لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر،

وحصباؤها الدر والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم﴾، رواه الترمذي.

أما أنهار الجنة، فكفاك أن تسمع قول الله جل وعلا:{مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى} [محمد: ١٥].

وإذا تساءلت عن قصورها وخيامها، فيأتيك الجواب من الحبيب ﷺ، فعند مسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال:﴿إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا﴾.

وعن أشجار الجنة وثمارها فحدث ولا حرج، يقول سبحانه:{إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ} [المرسلات: ٤١، ٤٢]، بل في الجنة قطوف كيف هي؟ قال جلت قدرته:{وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا} [الإنسان: ١٤].

وللجنة أخي القارئ العزيز، للجنة ريح طيبة، ففي حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:﴿وإن ريحها - أي الجنة - ليوجد من مسيرة أربعين عامًا﴾، رواه البخاري.

جعلني الله وإياكم ممن يتكؤون على فرش الجنة، ففرش الجنة كما في القرآن:{مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرحمن: ٥٤].

ولأهل الجنة الحور العين، يقول السميع العليم:{وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾} [الواقعة: ٢٢ - ٢٣].

وأما أفضل ما يُعطاه أهل الجنة بعد دخولهم الجنة، فرضوان من الله، والنظر إلى وجهه الكريم، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :﴿إن الله تعالى يقول لأهل الجنة، يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير كله

في يديك، فيقول هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»، متفق عليه.

وعند مسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول تبارك وتعالى، تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى»، قال تبارك وتعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [القيامة: ٢٢، ٢٣].

ولك أن تتخيل أخي المسلم، ويا أختي المسلمة، جنة ذلك وصفها، وهي بالجمال والبهاء الذي رأيت، ألا تستحق منا أن نعمل لأجلها، ونخطب ودها، ونسعى من أجل دخولها؟، وأن نرزق لذة النظر إلى وجه الرحيم الرحمن، بلى والله تستحق، وعلى العاقل أن يبذل غاية الوسع، وقصارى الجهد ليكون من أهل الجنة، ولينعم برضوان الله، وأن يكون ممن يساقون إلى الجنة زمرًا.

فيا أُخَيَّ أقبل، وكن من المسارعين، {وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤]، ادخل السباق الحقيقي يا عبد الله: {سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾} [الحديد: ٢١].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الجنة، وأن يجعلنا ممن يقول يوم لقاء الله رب العالمين: {وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ

وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾} [الزمر: ٧٤].

* * *

وقفة: مع النار - أعاذني الله وإياكم منها -

مشهد عظيم رهيب، حيث الصراط ممدود، ويمر المؤمنون بها، وهي تلظى وتتأجج، والعتاة ينزعون عن الصراط ويقذفون فيها، وهي تقول: (هل من مزيد؟)، يتعوذ بالله المؤمنون منها ومن شرها، ويخشون الوقوع فيها، يخشون أن يكونوا من وقودها، فما لها وقود سوى الناس والحجارة، ويهتف مناد السماء:{فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ} [آل عمران: ١٨٥]، تلك هي نار جهنم لها سبعة أبواب أعاذني الله وإياكم منها.

روى أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:﴿**لما خلق الله النار قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفها بالشهوات، فقال: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فلما رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها**﴾، رواه الترمذي.

ولو تأمل هذا الإنسان الضعيف صفة النار، وفظاعتها، لما التفت إلى شهوات قصيرة عاجلة، تتسبب في شقاء وعذاب لا قدرة له على احتماله.

وإن المتدبر في آيات القرآن الكريم، ليلمح بوضوح لا غموض فيه، الحديث عن النار، وصفتها، وأحوال أهلها، وكذلك الحال والأمر إذا ما نظر في أحاديث النبي ﷺ .

النار يا عبد الله عظيمة كبيرة، فعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:﴿**لا تزال جهنم يلقى فيها، وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول: قَطٍ قطٍ بعزتك وكرمك**﴾، رواه البخاري ومسلم.

هي مترامية الأطراف، بعيدة القعر، لها سبعة أبواب تغلق على أهل

النار فلا يتجاوزونها، قال تعالى:{إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ } [الهمزة: ٨، ٩]، وبها دركات مخيفات، ومكان المنافقين أسفل دركات النار، قال سبحانه:{إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ} [النساء: ١٤٥].

أما العذاب الذي يعانيه أهلها، فرحماك ربنا رحماك، إنه عذاب لا طاقة للبشر على احتماله، يفر منه كل إنسان، ويفتدي في سبيل الخلاص منه بكل شيء، ففي الذكر الحكيم:{يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ} [المعارج: ١١ - ١٦].

إن النار أخي في الله، تدنو من أهلها وتستقبلهم، لكنه استقبال من نوع آخر، يقول المولى جل وعلا:{إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾} [الفرقان: ١٢]، فإذا ما دخلوها كان الحر واللهيب، {وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾} [الواقعة: ٤١ - ٤٤].

فلا هي باردة، ولا هي كريمة المظهر، وليست بالظليلة، ولا تقي من اللهب، تدمر كل شيء، لا تبقي ولا تذر، تحرق الجلود، وتصهر ما في البطون، وتطلع على الأفئدة، لا يخبو لهبها، ولا يهدأ صوتها، وسبحان الله:{كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء: ٩٧]، ويقال لأهلها رغم ما هم فيه من العذاب والويلات،{فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾} [النبأ: ٣٠].

طعام أهلها فهو الضريع، لا يفيد ولا ينفع، لا يسمن ولا يغني من جوع، بل إن أكله نوع من العذاب، قال تعالى:{لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾} [الغاشية: ٦، ٧]، وإذا ما غيرت لهم الوجبة، وقدمت لهم مائدة أخرى فلن تكون إلا الزقوم، يقول سبحانه:{إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾} [الدخان: ٤٣ - ٤٦].

وشرابهم فيها الحميمُ الحارُ، قال الله تقدست أسماؤه:{وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ} [محمد: ١٥]، وإذا اشتكوا واستغاثوا فاستمع يا مسلم:{وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: ٢٩].

ولا يختلف الأمر بالنسبة للباسهم وثيابهم،{فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ} [الحج: ١٩].

ولذا كان ﷺ ، كما في سنن أبي داود، يردد بعد كل صلاة فجر ومغرب، ويدعو سبع مراتٍ: (اللهم أجرنا من النار)، فاللهم أجرنا من النار يا رب العالمين.

إن الحديث عن النار، وعن أصناف عذابها أيها الفضلاء، ليربي النفس البشرية، فيحد من شهوتها، وخروجها عن الحق، ويردها إلى تعظيم قدر ربها وإجلاله تبارك وتعالى.

إن الحديث عنها يرقق القلوب القاسية، وينذر النفوس المعرضة، ويحذر العصاة، وينبه الغافلين، ويدعو كل مؤمن ومؤمنة، إلى أن يتجنبوا كل قول أو عمل أو سلوك يقرب إلى نار جهنم.

فاحذروا جميعًا من النار، وحذّروا الناس منها، وكونوا من النار على حذر، والسعيد من اتعظ بغيره، والكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

فيا إخوتي هذه وقفة تأمل، جدير بالإنسان أن يقفها ليتأمل النار، وصفاتها، وأن يتدبر حال أهلها، ومصيرهم فيها، كي يجتهد ألا يكون من أهلها.

أعاذنا الله من نار جهنم، وأجارنا من عذابها وأهوالها، نسأله سبحانه العفو والعافية منها، إنه هو السميع العليم.

* * *

وقفة: مع الدعـاء وأهميته

إلى من يتجه المؤمن؟ وإلى من يلجأ إذا ادلهم خطبه، وعصفت به الحوادث، وضاقت به الدنيا؟

على من يُقبِل التائبون، وبمن يستغيث المستضعفون، وإلى من يهتدي الحيارى، وما هو سلاح المؤمنين؟

لا شك أنهم جميعًا يُؤملون في الله الذي وسعت رحمته كل شيء، فهو أرحم من الوالدة بولدها، يسمع أنات المستضعفين، ويقبل توبة التائبين، ويجيب دعوة المضطرين، فيفيض عليهم من نداه، ويغمرهم بلطفه ورضاه، فهو سبحانه:{أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } [النمل: ٦٢].

إنه الدعاء، إنه السلاح البتار، إنه سهام الليل التي لا تخطيء، هو الطمأنة للنفس المؤمنة، والخضوع لله، والاستسلام لأمره جل وعلا.

يقول الله تعالى:{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة: ١٨٦]، فالله تعالى قريب منا يسمع نداءنا، ويجيب دعاءنا، فأقبلوا على الله وألحوا عليه بالدعاء أن يكشف الضر والبلوى.

الدعاء يا مسلم، من أعظم أبواب الفرج، به يتحقق النجاح، وتُنال الرغائب، وتبلغ الغايات.

فاليقين اليقين بأن الله وحده هو القاهر الناصر، هو المحيي المميت، هو السميع العليم، فانقطع يا عبد الله عمّن سواه، واطرق بابه، ولُذ بحماه، وذلك هو جوهر العبادة، وفي الحديث:﴿الدعاء هو

العبادة﴾، رواه أحمد وأصحاب السنن.

وفي الذكر الحكيم، يقول الحي القيوم:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠} [غافر: ٦٠].

الدعاء سلاح المؤمن، وعمادُ الدين، ونور السماوات، فلا تعجزوا في الدعاء، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد، الله أكبر، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد.

فهيا أيها الحيارى، ويا أيها المصابون، ويا أصحاب الحاجات، هيا جميعًا ارفعوا أكف الضراعة، وتوسلوا إلى الله بألوان الطاعة، تكونوا حتمًا من الفائزين.

اعرفوا الله سبحانه وتعالى في الرخاء، وأكثروا من دعائه حال اليسر والسعة، فإنه أدعى أن يستجيب لكم في وقت الشدة والضيق، فعند الترمذي، يقول رسول الهدى ﷺ :﴿**من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء**﴾.

لأنك تشكو فادع الله عز وجل، ولأنك مصاب فادع الله تعالى، ولأنك تبتغي رضا الله فادعه بما شرع، وتوسل إليه بما أباح، ولا تتردد في الإلحاح على رب العالمين، فإنك لا تدع أصمًا، ولا أبكماً، ولكنك تدعو السميع العليم، تدعو نور السماوات والأرض، وحري بالله أن لا يرد داعيًا:{أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} [النمل: ٦٢].

واعلم أيها القارئ الكريم: أن للدعاء شروطًا قد لا يقبل بدونها، ومنها ما يجب في كل العبادات، بل وفي الأمور كلها، وفي الأحوال جميعها، إنه الإخلاص لله تعالى، فليكن دعاؤك خالصًا لله، ولتكن مخلصًا في دعائك، لقوله سبحانه وتعالى:{ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ } [غافر: ٦٥].

ومن شروط إجابة الدعاء لتعمل بها أخي الحبيب: إطابة المأكل، يقول سيد المرسلين ﷺ :﴿**أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:**{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ} [المؤمنون: ٥١]﴾، وقال:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ} [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر ﷺ الرجل يطيل السفر، أشعث، أغبر، يمد يده إلى السماء يقول: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب له، رواه مسلم.

واحذر أن تكون مثله يا عبد الله فترد دعوتك، ولا تفتح لها أبواب السماء، بل احرص أن تكون مجاب الدعوة، فهذا سعد رضي الله عنه قال: يا رسول الله ادع الله أن أكون مستجاب الدعوة، فماذا كان رد نبينا ﷺ :﴿**يا سعد، أطب مطعمك، تكن مستجاب الدعوة**﴾، رواه الطبراني.

ولا تنس حضور القلب حال كونك داعيًا، لقوله جلت قدرته: {ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً} [الأعراف: ٥٥]، وقول النبي محمد ﷺ : ﴿.. **واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ**﴾، رواه الترمذي.

كما أن من شروط الدعاء المقبول بإذن الله، أن يدعو المسلم بالخير، وألا يستعجل الإجابة، فقد قال ﷺ :﴿**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل**﴾، قيل: يا رسول الله فما الاستعجال؟ قال:﴿**يقول: قد دعوت فلم يُستجب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء**﴾، رواه مسلم.

ولا بدّ أخي الحبيب، وأختي الفاضلة في الدعاء من التضرع، والخوف، والرجاء، والمداومة، والخشوع، واستحضار القلب، وأكل الحلال.

ثم إن للدعاء آدابًا ينبغي مراعاتها، والأخذ بها حين ندعو ربنا:

فأولاً: على المسلم أن يترصد الأزمنة الشريفة، كيوم عرفة، وليلة القدر، ويوم الجمعة، وعند إفطار الصائم، وفي الثلث الأخير من الليل، وكذلك ترصد الأماكن الشريفة كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي الشريف، والمسجد الأقصى المبارك، وجميع مساجد الله، والله تعالى حيي يستحي أن يرفع العبد إليه يداه فيردهما صفرًا خائبتين وهو خير مُجيب.

وثانيًا: اغتنام الأحوال الشريفة كحال السجود، والتقاء الجيوش، ونزول الغيث، وحال دمع العين ورقة القلب.

وينبغي ثالثًا: استقبال القبلة، ورفع اليدين، وخفض الصوت بين المخافتة والجهر.

ورابعًا: التضرع والخشوع والرهبة، قال تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ } [الأنبياء: ٩٠].

أما خامسًا: فعلى المسلم أن يحزم بالطلب ويوقن بالإجابة، ويصدق الرجاء فيها.

وعليه سادسًا: أن يلح في الدعاء، وأن يكرره ثلاثة.

سابعًا: يا عبد الله لا تستعجل الإجابة، فإن الله تعالى إما أن يحقق سؤلك، وإما أن يدفع عنك بمقدار مسألتك، وإما أن يدّخر لك، وهو تعالى أرحم الراحمين.

وتاسع آداب الدعاء: أن يفتتحه الداعي بذكر الله، وبالصلاة على رسول الله ﷺ ، بعد حمد الله والثناء عليه، وأن يختم دعاءه كذلك بما ذكر.

ومسك الختام في آداب الدعاء الذي يرجى إجابته، وهو أهم

الآداب والأصل فـي إجابـة الـدعاء: هـو التوبـة ورد المظـالم، والنـدم على اقتراف الذنوب والمعاصي.

نسـأل الله تعـالى أن يوفقنـا أحبتـي فـي الله لطاعتـه، وأن يرزقنـا رحمتـه، وأن ينظـر إلينـا بعـين الرضـا والرضـوان، وأن يسـتجيب دعاءنا إنه سميع مُجيب.

* * *

وقفة: مع القرآن الكريم

إنه كتاب الله تعالى، الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنزله الله لهداية الناس أجمعين، ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

فحري بنا أيها الأحبة أن نعرف لهذا الكتاب قدره، وأن نقبل على تلاوته وحفظه، وأن نسبر غور معانيه، وأن ننهل من معينه الصافي ما يشفي صدورنا، ويطهر أرواحنا من أدران الضلالة والجهالة.

أهل القرآن تتفجر الحكمة من جوانبهم، إذا نطقوا أنصت التأريخ لهم، وإذا تكلموا سكت الجميع، وإن أمروا استجاب الناس لتوجيهاتهم، وما ذلك إلاّ لأن القرآن صقل نفوسهم، وهذب طباعهم، فكان حقًّا على الله أن يرفع مكانتهم، وأن يعلي شأنهم، ولا غرابة في ذلك، فإن الحبيب محمدًا ﷺ شبه المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأترجة، فقال عليه الصلاة والسلام: **«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»**، متفق عليه.

فكن أيها المسلم من أهل القرآن، وتأمل الحديث السالف ذكره، ففيه تشبيه رائع وجميل يرسم صورة صادقة لمواقف الناس من القرآن، فالمؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة، وهذا ليس إلا للمؤمن الذي جعل قراءة القرآن دأبه وغايته، فهو يقضي نفيس عمره في تلاوة كتاب ربه، وليؤثر القرآن في حياته، فينعكس على سلوكه، وأفعاله، وأخلاقه، فلا يصدر منه إلا خير، ولا ينطق إلا بالخير.

إنه كتاب الهداية، إنه القرآن، من اعتصم به فقد هُدي إلى صراط مستقيم، إنه قرآن الهدى والفرقان، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن جعله إمامه كان دليله إلى الجنة، ومن اتخذ كتاب الله وراءه ظِهريًا ساقه إلى النار، إنه قرآن أحكمت آيته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، إنه شفاء ورحمة للمؤمنين، ودائمًا يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى:{ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾} [الإسراء: ٩].

لتلك الدرر الكامنة في كتاب ربنا، أقبل عليه القوم، وتنافسوه قديمًا وحديثًا، فرتعوا في رياضه، ونهلوا من معينه، وبادروا إلى تلاوته، وحفظه، وتاجروا مع ربهم، فكانت نعم التجارة، وربح البيع لهم، فكانوا حقًا وصدقًا، أنموذجًا يحتذى، وفي القرآن الكريم: { إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾} [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

إخوتي في الله، هاهو النبي ﷺ يضرب أروع الأمثلة في الاعتناء بكتاب الله، بالقرآن الكريم، وتعامل ﷺ مع القرآن بما هو أهله، فكان عليه الصلاة والسلام يأخذ القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام، ويقوم من فوره بإعلام من معه من الصحابة بما نزل عليه، ولا يتوانى في ذلك بأبي وأمي وروحي صلوات الله وسلامه عليه، مستجيبًا لأمر الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ} [المائدة: ٦٧].

كما كان الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين، كانوا يحفظون الآية أو الآيات عن الرسول ﷺ ، ويتدبرونها، ويعقلون معناها، ثم

يتوجهون إلى أسرهم وأهاليهم، مبلغين تلك الآيات الكريمة كما حدث في آيات الحجاب وغيرها...

الله أكبر، أولائك هم صحابة رسول الله ﷺ ، وليت لنا من فضلهم نصيب، فقد كانوا يُقبلون على مائدة القرآن، يقرؤون بخشوع وتدبر، وتأمل، محتسبين الأجر والثواب من عند الله جل وعلا، قال الرسول ﷺ :﴿**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**﴾، رواه مسلم.

ويقول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران)، متفق عليه.

فلا غرابة ولا عجب، أن تجد أحدهم إذا قرأ من القرآن الكريم، وكأنه يعيش عالمًا آخر، فعن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: (قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فنظر فإذا ضبابة أو سحابة غشيته، قال: فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال:﴿**اقرأ فلان، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن**﴾، وفي رواية:﴿**تنزلت للقرآن**﴾، رواه مسلم.

القارئ العزيز، إن بركة القرآن تتحقق في العمل به، والعمل على تعليمه ونشره، وإفساح المجال أمامه ليؤدي رسالته في الحياة، مصداقًا لقول الله جل وعلا:{وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾} [الأنعام: ١٥٥].

إن القرآن الكريم منهج حياة المسلمين، وهو مصدر غنىً واسع للإنسانية جمعاء، ينفحها بكل خير، فلا تذكر فضيلة إلا ويذكر القرآن الكريم، ولا تواصى الناس بعدل أو مرحمة إلا وجدوا ذلك منحة القرآن لهم، فمتى ندرك أيها الفضلاء ذلك؟

علينا أن لا نجعل مبلغنا من كتاب ربنا أن نستوعب آياته اتقانًا

وتجويدًا، ثم ننحى بحياتنا منحًى آخر، فلا يزكي القرآن لنا نفسًا، ولا يرفع لنا رأسًا.

يجب أيها الإخوة أن نرى ثمرة القرآن الكريم علمًا نافعًا، وثقافة رشيدة، ثم سلوكًا وعملاً يرسم المسار الصحيح للحياة الآمنة وقرارها المطمئن، فما أنزل القرآن إلا ليفهم الناس روحه، ويفقهوا مقاصده، ويلتزموا حدوده وآدابه، قال تعالى:{كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾} [ص: ٢٩].

إن القرآن الكريم كتاب يحيي النفوس، ويرفع الهمم، ويصنع الأمم، ويبني الحضارات،{قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾} [المائدة: ١٥ - ١٦]، وفي الحديث:«إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع آخرين»، رواه مسلم.

فينبغي علينا أن نقبل على هذا الكتاب لنُرفعَ به، ولتستقيم حياتنا، وتُشفى أسقامنا، وتنار دروبنا، وتطمئن نفوسنا وقلوبنا، فهو الكتاب الوحيد الذي لا ينكر أحد بأنه:{لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢].

اللهم اجعل القرآن الكريم العظيم ربيع قلوبنا، وشفاء صدورنا، ونور أبصارنا، وجلاء همنا وغمّنا وأحزاننا، آمين آمينَ آمين، يا رب العرش العظيم.

* * *

وقفة: مع المسجد

في المسجد أيها الأحبة في الله، تحيا القلوب، وتسجد الجباه، وتتراصّ الصفوف، وتتوحد النفوس، وتُبنى الجيوش، ويتآلف المسلمون.

فهل عرفنا للمساجد آدابها وأحكامها؟ وهل عملنا بتلك الأحكام والآداب، ونحن نعلم بأنها بيوت الله، ينادى فيها لعبادته، ويذكر فيها اسمه؟

والله لقد كثرت الشكاوى من عدم معرفة تلك الأحكام، ولا مراعاة تلك الآداب، فكيف الأمر ونحن نتحدث عن بيوت الله، تلكم التي نسبها الله إليه فقال:{وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ} [الجن: ١٨]، وكرر وذكر:{إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ } [التوبة: ١٨].

هي المساجد، قدرها عند الله عظيم، هي بيوتك يا الله، ولكن هل نجعلها أيها الحبيب المبارك، هل نجعلها مثل بيوتنا علي أقل تقدير؟ هل عندما نأتي إليها نعرف حرمتها؟ هل عرفنا قدرها؟ هل استشعرنا عظمة مالكها؟ وعلو مكانتها؟ لا... إلا قليل فالله المستعان.

ونحن نتحدث عن بيوت الله، يجب أن نعلم أنّ عمّار المساجد هم أهل الله، الذين يجيبون نداءه، ويخفّون لطاعته، ويُقبلون إلي مرضاته، ويعملون بقوله:{إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨} [التوبة: ١٨].

يقول ابن كثير رحمه الله: (شهد الله بالإيمان لعمّار المساجد)، وروى عبد الرزاق في المصنّف عن عمر بن ميمون أنه قال: (كان أصحاب النبي ﷺ أدركتهم وهم يقولون: إنّ المساجد بيوت الله في

الأرض، وأنّه حقٌّ على الله أن يكرم من زاره فيها، وأنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها)، وظلّ يكرر.

لكنّ الضيف يا أحبتي في الله، يجب أن يراعي أدب المكان، وأدب المضيّف، والمكان بيت الله، والمضيف هو الرحمن سبحانه وتعالى، فكيف بنا نخدش ذلك؟

كيف بنا ننسى:{يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ} [الأعراف: ٣١]، قال ابن كثير في تفسيره: (وفي هذه الآية مع ما ورد في السنة النبوية، يُستحبّ التجمّل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة، الطيب لأنّه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك).

وايْمُ الله أيها الأحبة، وايم الله، إذا ذهبنا لزيارة الأصدقاء، فضلاً عن المسؤولين والفضلاء، تزيّنا لذلك، لبسنا أمام البشر من الثياب أحسنها، ووضعنا من أنواع الطيب أعطرها، وجعلنا لأنفسنا من الهيئات أفضلها.

وإذا جاء بعضنا إلي المساجد، ونوى زيارة الرحمن في بيته، يأتي بثياب النوم التي لا يرضى أن يراه بعض الناس فيها، والآخر يأتي في ثياب مهنته قد اسودّ بعضها، وثالث يأتي بلباس قد كُتب عليه من الكلمات والصور مالا يليق ببيت الله، ورابع في لباس مخالف لستر العورة، إمّا من قصر أو ضيق أو تشبه أو غير ذلك، فهل عمل هؤلاء بقول الله:{يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ}؟ هل طبّق مثل أولئك قول ربهم:{خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ}؟

والله الذي لا إله غيره، لو أراد أحدهم زيارة المدير أو المسؤول للبس أجمل الثياب، ولمسّ من أطيب الطيب، ولتسوّك بأفخر السواك.

أمّا الله، فصار أهون المُزارين، صار الجبّار بجلال قدره أهون

من يُزار، عذراً يا الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان من هيئة الإمام مالك، إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى، كما جاء في ترجمته: أنّه إذا خرج إلي المسجد اغتسل، ولبس أحسن ثيابه وتطيّب، فإذا خرج لم يكن يكلم أحداً، ولا يكلمه أحد، حتى يدخل مسجد رسول الله ﷺ ، فيصلي ثم يشرع، فيحدث بحديث المصطفى ﷺ .

هكذا كانوا يعرفون حق قدومهم علي بيوت الله، يعرفون قيمة المكان، وقيمة المزار، من غير مخيلةٍ ولا رياءٍ ولا مبالغة، لكن من غير استهانة وتفريط وعدم مراعاة حرمة وتقدير يعملون بقول الله:{خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ}، وهم حتمًا ممن قدروا الله حق قدره، فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

وعند البخاري من حديث جابر وغيره عن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم أنه قال:﴿**من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، أو فليعتزل مسجدنا**﴾، والمقصود هنا كراهة الرائحة وكل ما هو من هذا الباب داخل فيه وملحق به.

فالمدخنون يا عباد الله، الذين يؤذون الناس برائحتهم - شاءوا أم أَبَوْا - قد آذوا المصلين، وآذوا ملائكة الله المقرّبين، المدخّنون يعيثون في بيوت الله فساداً، فيرمون أعقاب السجائر بجوار المساجد، وربما داخل أسوارها، ويضعون الدخان في أبوابها، بل قد يصلون مع الناس والدخان في جيوبهم، فهل الدخان من الزينة التي أمرنا بأخذها إلي المساجد؟ هل عمل المدخنون بقول الله:{خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ}؟ والجواب متروك لكل مدخن:{وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ}.

ومثل سابقيهم من يأتون والعرق يتسايل علي جباههم، والرائحة الكريهة تفوح من أبدانهم، والأقذار علي ثيابهم، ينفّرون المسلمين من

أن يقفوا في الصف إلي جوارهم، وإن وقفوا فما بالعبادة انشغلوا.

بالله عليك أيها الأخ الحبيب، وكن منصفًا، هل مثل هذا وذاك، إذا أراد أن يذهب لزيارة صديق سيذهب علي تلك الهيئة؟ أهانت بيوت الله عزّ وجلّ في النفوس حتى بلغت مثل هذا المبلغ؟ أهانت بيوت الله إلي هذا الحد؟{مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾} [نوح: ١٣].

مالكم أيها المسلمون لا ترجون لله وقاراً، هل ذهب تعظيم الله من قلوبكم؟ هل ذهب الاستشعار لعظمة بيوته في صدوركم؟ أبلغت بيوت الله عندكم منزلة الصغار؟ عذراً يا الله عذراً.

قال الله تعالى:{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ} [النور: ٣٦]، قال المفسرون: إنّ التطهّر من الأدناس والأرجاس والأقوال والأفعال، وأمر نظافة المساجد أمر عظيم، وأجر كبير، ففي سنن أبي داود وغيره عن النبيّ ﷺ قال:﴿**عُرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد**﴾.

الله أكبر، داخل في الأجور أن تأخذ قشرة أو قشة فتخرجها من المسجد وتطهره، معروضة مرت على رسول الله ﷺ من الأعمال التي لها أجر خاص لأمته صلوات ربي وسلامه عليه.

رَوى البخاريّ وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ امرأةً كانت تقم المسجد علي عهد رسول الله ﷺ فماتت، فتفقدها النبي ﷺ ولم يعلم بها، فقال:﴿أفلا كنتم آذنتموني بها؟ دلوني علي قبرها﴾، ثم ذهب وصلّى عليها بعد دفنها.

امرأةٌ مجهولة، يتفقدها النبيّ ﷺ، ويسأل عنها، ويعاتب الصحابة علي عدم ذكرها، لا لأنها ذات منصب، ولا لجمال، ولا لجاه، ولا لمال، ولكنها عرفت قيمة بيوت الله، لأنها عرفت قدر بيوت الرحمن، فهل عرفنا نحن قدرها؟ وهل عملنا فيها بهدي الكتاب والسنة؟

وهل دخلنا في قول الله:{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾} [التوبة: ١٨].

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة: أين نحن من تلك المرأة التي تخرج الأذى من المسجد؟

وأمر آخر لا يقل شأناً، فكم تسمع من حديث ليس فيه ذكر ولا طاعة، بل ربما كان حديث في أودية الدنيا وشعابها، أو غيبة ونميمة، أو بيع وشراء، أو سخرية بالداخل واستهزاء.

في بيوت الله، كم تُرفع الأصوات، كم تعلوا الضحكات، وقد أفتى الإمام مالك رحمه الله في المدونة بكراهة رفع الصوت في المسجد مطلقاً، ومن ذلك الصغار الذين يعبثون في المساجد فساداً، يلعبون فيها، ويجعلون من النجاسات والقاذورات، وآباؤهم يسرحونهم في المساجد كما يسرحونهم في الملاعب والملاهي غير عابئين، ولا آبهين بذلك، وغير ذلك مما هو أشد وأخطر.

فالله الله في بيوت الله، الله اللهَ في مساجد الله، الله اللهَ أن تعظم، ويرفع فيها اسمه، وأن يتهيأ المسلم لها بما ينبغي لها:{وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾} [الجن: ١٨].

فيا أيها القارئ الكريم، احذر كل الحذر، من تخطي الرقاب الذي يحصل في الجمعة وغيرها، وهو منهيّ عنه شرعاً، وتصرف مذموم عقلاً، وكذلك حجز الأماكن، وهو أن يجعل المسلم له مكاناً محدداً، يجب أن يصل إليه، وكلها أمور ما أنزل الله بها من سلطان.

فيا أيها الفضلاء الأعزاء، إذا أردتم الخروج إلي المساجد، خذوا زينتكم عند كل مسجد، فتطهروا، وتطيّبوا، ومن أفضل الثياب البسوا.

إذا أردتم الخروج إلى المساجد، فاستحضروا النية الصادقة، واجعلوا لله وقارا، واحفظوا ألسنتكم من قيلٍ وقال، وإياكم ثم إياكم، إياكم أن تدخلوا تحت طائلة قول الله تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾} [البقرة: ١١٤].

فهذه وقفة أيها المسلم، مع ما ينبغي تجاه بيوت الله باختصار، فاحرص على تطبيق ما قرأت، ولا تتكاسل، ولا تكن من الذين يأتون بيوت الله في كسل، فيقضون وقتًا قصيرًا على ملل، بل كن ممن يعمرون بيوت الله، عساه تعالى أن يجعلني وإياك من المهتدين، اللهم آمين.

* * *

وقفة: مع النصيحة

لا تستغرب أخي الفاضل، أن لكل مسلم حقوقًا على إخوانه المسلمين، كما أن لهم عليه حقوقًا، ومصدر تلك الحقوق، هو اجتماعهم على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ .

ومن أعظم هذه الحقوق، النصح لكل مسلم، فعن تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:﴿**الدين النصيحة**﴾، قلنا: لمن؟ قال:﴿**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامّتهم**﴾.

ولقد أشار علماؤنا لهذا الحديث بقولهم: إن هذا الحديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام، وهو عماد الدين وقوامه، وهو يشبه قوله عليه الصلاة والسلام: (الحج عرفة).

ومن هذا الحديث يتبين لنا أهمية النصيحة بالنسبة لدين الله الإسلام، وأنه لا بدّ من التناصح بين المسلمين.

وفي قوله ﷺ :﴿**الدين النصيحة**﴾، دلالة أيضًا على وجوب الصدق، والإخلاص في إسدائها، وعدم التهاون فيها أو تركها.

النصيحة يا عبد الله، كلمة جامعة شاملة، تعود بالنفع والخير، في الدنيا والآخرة، على الناصح والمنصوح.

والنصيحة لله لا تعني على الإطلاق، أن الله تعالى في حاجة إلى النصيحة، وحاشاه وحاشاه، وإنما تعني أن يلتزم الناصح شرع الله، وإذا ما التزم بذلك صار خير ناصحٍ وهاد لله جل وعلا.

والنصيحة لكتاب الله، تصديق تامٌ بهذا الكتاب السرمدي الخالد، وأن يكون المسلم شديد الحب لكتاب الله، ونشره والذود عنه، وكل ما ينبغي لهذا الكتاب الكريم من الأحكام.

والتصديق بنبوة الرسول ﷺ ورسالته ﷺ ، واتباعه، والاقتداء به، وتوقيره وتعظيمه، كل ذلك من باب النصيحة لرسول الله ﷺ .

والنصيحة لأئمة المسلمين، تعني إعانتهم على القيام بمسؤوليتهم، وأعبائهم، والدعاء لهم بالخير وبالصلاح، وإحسان الظن بهم.

وأما النصيحة لعامة المسلمين، فتعني إرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية، وتنشيط هممهم إلى صالح العمل، وحب الخير لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالحسنى.

فكل ابن آدم خطّاء، يصيبُ أحيانًا ويخطئ أخرى، وليس كلٌ يعرف عيب نفسه، فيكون في حاجة إلى النصيحة، ولذا عدّها النبي ﷺ ، من حقوق المسلم على إخوته المسلمين، قال ﷺ :**﴿حق المسلم على المسلم ست، إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه﴾**، متفق عليه.

فهيا يا أحباب محمد ﷺ ، تناصحوا، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، وتواصوا بالمرحمة فيما بينكم، فالعاقل يَنصحُ ويُنصح، ولا يستثقل النصيحة، ولا ينظر إلى مكانة من نصحه، ولا إلى سنّه، وإنما ينظر إلى النصيحة وما تحمله من حقٍ وصلاح، فإن كانت كذلك أخذ بها، فإن الحق أحقّ أن يتبع، وإن السير في طريق الاستقامة، خير من الإصرار على الباطل وتبريره.

إخوتي في الله، لا يضرنكم ترك الأخذ بالنصيحة، فتتركوا نُصح المسلمين، فلقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ينصحهم، ويدعوهم إلى الحق المبين.

وها هم أنبياء الله يبينون لأقوامهم نصحهم لهم، فتارة يقول أحدهم لقومه:{وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ} [الأعراف: ٦٨]، وغيره يقول:{وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ

وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ} [الأعراف: ٧٩]، وقال آخر:{وَنَصَحْتُ لَكُمْۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ} [الأعراف: ٩٣].

ويقدم لنا لقمانُ الحكيم درسًا بليغًا وهو يعظ ولده وينصحُه، وهكذا هو ديدن الصالحين، ينصحون وينصحون، ولا يملون من إسداء النصيحة، ولا يتهاونون فيها، فلله درهم، وجعل فعلي وإياكم كما كانوا يفعلون.

يا أخي الحبيب، ويا أختي الفاضلة، انصحوا إخوانكم المسلمين، واحذروا إسداء النصيحة لهم بين الملأ، إذ قد قيل: (النصيحة بين الخلق فضيحة).

انصحوا إخوانكم، ولا تتخلفوا عن ركب الناصحين، واقبلوا نصحهم، ولا تستثقلوا النصيحة، ولا تترفعوا عليها، فما خاب من استشار، ولا ندم من استخار.

ولتكن النصيحةُ منكم بأسلوب لطيف، فهي أدعى لأن تُقبل، وأقرب للأخذ بها، وقد أمر الله موسى وهارون عليهما السلام أن ينصحا فرعون، فأمرهما أن يليّنا له القول، مع ما بلغ به من الطغيان والجبروت، ولكن أبى الله إلا أن يقول لأنبيائه:{فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾} [طه: ٤٤].

فكيف أيها الحبيب، وأنت لا تنصحُ إلاّ أخًا لك ربما أخطأ، وربما نسي، وربما...، وربما...، التمس له العذر، وانصحه برفق، وكن لطيفًا، فما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه، وما نزع الرفقُ من شيء إلا شانه.

فيا إخوتاه: خذوا هذه الوقفة وغيرها من باب النصيحة، وإني والله لكم ناصحٌ أمين.

* * *

وقفة: مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا ينكر أولوا الألباب، ولا أصحاب العقول، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة من ضرورات الحياة، وهو القطب الأعظم في الدين، وله أهمية كبيرة في حياة الإنسان، فردًا أو جماعة، في المجتمع المسلم.

يقول الإمام الغزّالي، رحمه الله تعالى: (اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي بعث الله به النبيين، ولو طُويَ بساطه لاضمحلت الديانة، وظهر الفساد، وخربت البلاد).

ولمعرفة مكانة الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر في دين الله الإسلام، فكفاك أيها الكريم أن تعلم أن الله قرنه بالإيمان به، وذلك في الآية التي بين الله فيها خيرية الأمة، فقال عز اسمه:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران: ١١٠].

كما أن النبي ﷺ ، حث على القيام بهذه الشعيرة العظيمة، وبين أهميتها، وحذر بالمقابل مما قد ينجم عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من آثار، فقال ﷺ :﴿**لتأمرن بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم**﴾، رواه الطبراني، وعند الترمذي:﴿**أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**﴾.

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها المسلمة الفاضلة، إنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أسباب خيرية الأمة، ومن الوسائل الناجعة لحفظ دينها، وهو صفة للنبي ﷺ ، بل من الأمور

التـــــــــــــــــــــــــــــي ثبتـــــــــــــــــــــــــــــت له صلوات الله وسلامه عليه، في التوراة والإنجيل، قال تعالى: { ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } [الأعراف: ١٥٧].

إن من يُحدّ النظر، ويستخدم العقل، ويتأمل في آي الذكر الحكيم، وكذلك أحاديث الرسول الكريم، ﷺ ، التي تناولت الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجدها في غاية الوضوح، تجعل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضًا يجب القيام به، ويكفي أن يقوم به البعض ليسقط عن الآخرين، " فرض كفاية ".

ولذا يا أحبتي في الله، فإنه يترتب على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمور خطيرة، وآثار عظيمة، يقول جلت قدرته: { وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾} [الأنفال: ٢٥].

كما قصّ علينا البارئ جل وعلا، في القرآن الكريم قصص الأمم التي تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستحقت الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى فقال:{ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾} [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

يا عبد الله، إن الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أمر ليس بالهين، وعمل ليس باليسير، فهو بطبيعته اصطدام بشهوات الناس، ورغباتهم، ونزواتهم، ومصالح بعضهم، وغرور

آخرين وكبريائهم.

فالقيام بالمعروف والنهي عن المنكر، أيها القارئ الكريم، طريق محفوف بالمكاره، ومُحاط بالصعاب، فهو عمل شاقّ، لا يقدر عليه إلا الكُمّل من الرجال، ولأجل ذلك، رفع الإسلام من قيمة هذه الشعيرة العظيمة، وجعلها من القضايا المهمة، في حياة المسلمين، فعن درة بنت أبي جهلٍ قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال: من خير الناس يا رسول الله؟ قال:**﴿آمَرُهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم وأوصلهم﴾**، رواه أحمد والطبراني.

فيا أخي، كن آمرًا بالمعروف، وكن من الذين ينهون عن المنكر، واحذر أن تأمر بمعروفٍ وأنت لا تأتيه، أو تنهى عن منكرٍ أنت قائم به، فذلك والله من الخذلان، يقول العزيز الرحمن:{أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ أفلا تعقلون} [البقرة: ٤٤].

فالله الله يا عبد الله، جنّد نفسك، وكن من المفلحين، الذين شهد الله بفلاحهم فقال:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾} [آل عمران: ١٠٤].

ولتكن يا مسلم، في حياتك كلها، عاملاً على إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تلك الشعيرة العظيمة، ولتكن عالمًا بما تأمر، عالمًا بما تنهى، حليمًا فيما تأمر، حليمًا فيما تنهى، رفيقًا فيما تأمر، رفيقًا فيما تنهى، وليكن أمرك بالمَعْرُوف بالمعروف، ونهيك عن المنكر بلا منكر، والله ولي التوفيق.

اللهم اجعلنا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، الداعين إلى الله تعالى على بصيرة، المتأسّين بالنبي محمد ﷺ ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

وقفة: مع العلماء

هم عِلية القوم بلا شك، رزقهم الله بسطة في العلم، وسعة في الفهم والإدراك، حتى صاروا وبلا منازع من أكثر الناس خشية لله تعالى، ففي القرآن الكريم:{إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ} [فاطر: ٢٨].

وكفاهم شرفًا قول القائل:

إن الملوك ليحكمون على الورى ::: وعلى الملوك يحكم العلماء

العلماء، هم أمناء الله على دينه، ورثوا الأنبياء، ونالوا شرف الدعوة إلى الله بعد أنبيائه ورسله، فانكبوا على العلم، يتعلمون ويعلمون، فلقوا القبول في الأرض، بعد أن كُتب لهم القبول في السماء، ففي الحديث، يقول المصطفى ﷺ :**﴿إذا أحب الله تعالى العبد، نادى جبريل، إن الله تعالى يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله تعالى يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض﴾**، متفق عليه.

وقديمًا قيل: (كن عالمًا، أو متعلمًا، أو مجالسًا للعلماء، أو محبًا لأهل العلم، ولا تكن الخامسة فتهلك).

والخامسة أن لا تكون عالمًا، ولا متعلمًا، ولا مجالسًا للعلماء، ولست ممن يحبونهم، نعوذ بالله من الخذلان.

ورحم الله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ يقول:

ففز بعلم زلا تطلب له بدلاً ::: فالناس موتى وأهل العلم أحياء

فهيا أيها الأحبة في الله، ولنسلك طرقًا نلتمس فيها العلم، وفي الحديث،**﴿من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة﴾**.

فلتكن الهمة عالية، والعزيمة وقادة، والإصرار موجود، على

ضرورة طلب العلم، وتحصيل العلوم.

فالعلمَ العلمَ يا إخوتي، لا تكاسُل، ولا مضيعة للوقت، ولا تفريط في الفرص، فهبوا جميعًا.

العلــم نــور فــلا تُهمــل مجالســه ::: واعــمل تــرى النجــاح فــي العمــل

لا ترقـد الليـل مـا فـي النـوم فائـدة ::: لا تكاســلن تــرى الحرمــان فــي الكســــــــــــــــــــــل

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، إنه هو السميع العليم.

* * *

وقفة: مع التقوى

إن المتأمل في أوامر الله تعالى في كتابه العزيز، وما أمر به على لسان نبيه الكريم ﷺ ، وعلى وجه الخصوص تلك التي تتحدث عن العبادات وأصل مشروعيتها، يجدها تشير إلى هدفٍ منشود، إما تصريحًا أو تلميحًا، ومهما اختلفت الصورة، ومهما تعددت الأساليب فإن الهدف واحد في كل الأحوال، يقول المولى جل وعلا:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾} [البقرة: ٢١].

فالهدف هو تحقيق التقوى ومسالك المتقين، فالتقوى أيها الموحدون، هي الأساس الذي يقوم عليه أمر الدين، وبالتقوى يصلح الأمر أولاً وآخرًا، بالتقوى ينعم الإنسان بالسعادة دنيا وأخرى، وهي الزاد ليوم المعاد، يقول الحق تبارك وتعالى:{وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ } [البقرة: ١٩٧]، وفي آية أخرى:{وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ } [المؤمنون: ٥٢].

التقوى التزام من العبد تجاه مولاه، وهي الحجاب بين المرء وغضب الله، والحجاب بقدر فعل الطاعات وترك المحرمات، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (ليس التقوى بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله).

فاجعل قلبك عامرًا بالتقوى، وذلك بتعظيم شعائر الله، والوقوف عند حدوده تعالى، ففي القرآن الكريم:{ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾} [الحج: ٣٢].

التقوى عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (أن يطاع الله فلا

يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر)، أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال عنها: (هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل).

فذكر نفسك أخي المؤمن بالتقوى، وليكن عملك بالتقوى، وحديثك عنها، واجعلها نصيحتك للآخرين، فهاهم رسل الله جميعًا يعظون أقوامهم " ألا تتقون؟ "، وأنت أخت المؤمنة كذلك كوني من المتقين، وعظِي بتقوى الله غيرك.

تقوى الله هي الثمرة المرجوة من العبادات والحدود والأخلاق، فعن العبادات في آية الصيام " لعلكم تتقون "، وعن الحدود فحكمة القصاص " لعلكم تتقون "، وهاهي أخلاق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يختلي مع نفسه ويحدثها كما في موطأ مالك رحمه الله: (والله لتتقين الله أو ليعذبنك).

المتقون هم أسعد الناس، وهم أرفع الناس مكانًا، وحسْبُ المتقين أن يعلموا بأن الله معهم، وأنهم في معية ربهم:{ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾} [النحل: ١٢٨].

التقوى سبب في قبول الأعمال:{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧]، وسبب في محبة ذي الجلال والإكرام للمتقين، قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ} [التوبة: ٤].

التقوى طريق الخروج من كل ضيق، وسبب في سعة الرزق، وفي القرآن:{وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ} [الطلاق: ٢ - ٣]، ومن ثمارها: العلم والزيادة:{وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ} [البقرة: ٢٨٢].

فيا أخي، ويا أختاه اتقوا الله وكونوا من أوليائه:{أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ

يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ} [يونس: ٦٢ - ٦٤].

والمتقون هم الناجون يوم القيامة من النار، يقول الملك الجبار:{ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾} [مريم: ٧٢]، وللمتقين جنات النعيم:{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾} [القلم: ٣٤].

ولا يستغرب المؤمن حين يسمع كل ما ذكر عن التقوى ويعلم أن غير هذا كثير، عندما يدرك بأن التقوى وصية الله للأولين والآخرين، بل وللناس أجمعين، قال تقدست أسماؤه:{وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ } [النساء: ١٣١]، ولذا كان من دعائه ﷺ :《**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغني**》.

فيا رب لا تحرمنا التقوى، واجعلنا من عبادك المتقين، الذين يقال عنهم:{ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا} [الزمر: ٧٣]، اللهم آمين.

* * *

وقفة: مع الموت

هو قدر من أقدار الله تعالى، ولا يستطيع أحد كائنًا من كان أن يفر من هذا القدر، وهو كأس لا بد أن يتجرعه الجميع، فلن ينجو منه ملك، ولا نبي مرسل، ولا أحد من الخلائق جميعها، الإنس، والجن، وغيرهم.

إن القدر الذي نعنيه، هو ذلكم الموت، الموت الذي خاطب الله نبيه محمدًا ﷺ فقال:{ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾} [الزمر: ٣٠]، وفي آية أخرى:{ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾} [الأنبياء: ٣٤].

ولله در القائل:

وكل ابن أنثى وإن طالت سلامته ::: يومًا على آلة حدباء محمول

إنه قدر الله الذي لا مفر منه، ولا حيلة للابتعاد عنه، فلو تحصّن الإنسان بأمنع الحصون، وسكن أمتن القلاع، وأوصد أقوى الأبواب، فإن الموت آتٍ لا محالة، يقول الله تعالى:{ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} [النساء: ٧٨].

إن للموت ساعة سيهجم فيها، وسيقدم على من حانت ساعته، في تلك الساعة دون غيرها، لا يتقدم عنها ولا يتأخر، قال عز اسمه: {فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } [الأعراف: ٣٤].

فقدوم الموت أيها الأحبة في الله، لا يرتبط بصحة أو مرض، ولا قتال أو قعود، ولا بغنى أو فقر، ولا بثراء فاحش، أو فاقة بالغة، وإن خُيّل ذلك للبعض، فلا يعدو كونه ضرب من الخيال.

ويرحم الله الشاعر القائل:

فكم من صحيح مات من غير علة ::: وكم من عليلٍ عاش حينًا من الدهر

وها هو القرآن أحبتي في الله، يذكرنا ببعض من يخيّل إليهم أن القتال في سبيل الله قد يدني من الأجل، فيقول حكاية عن المنافقين: {ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾} [آل عمران: ١٦٨].

ومن رحمة الله ولطفه بعباده، أن أخفى عنهم ساعة الموت، وحتى لا يعيش الإنسان عمره في هلع ورعب، وربما أقعده اليأس عن العمل، فيبين أنه وحده المختص بعلم ذلك، قال تعالى:{وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ } [لقمان: ٣٤].

فيا عبد الله، من علم أن الموت في أي لحظة آتيه، وأنه في أي ساعة قد يطرق ببابه، فما عليه إلا أن يحسن الظن بالله تعالى، وأن يتجهز، وأن يتهيأ للموت وما بعده.

وأكثر أيها الأخ الحبيب، وأنت أيتها الأخت الفاضلة، أكثروا من ذكر الموت، فإن ذكر الموت يبعث على الاستعداد له، وبالتالي تجد المؤمن الذي يكثر من ذكر الموت، أقرب للهداية من غيره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:﴿**أكثروا من ذكر هادم اللذات**﴾، رواه الترمذي والنسائي.

أخي المسلم، هل تذكر يوم مولدك، تلك لحظة تصرخ فيها، والناس حولك يضحكون فرحًا بقدومك، أما لحظة الموت فالأمر مختلف، فالناس يبكون حولك، وأنت إما باكيًا وإما من الضاحكين!

استمع لقول الشاعر:

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيًا ::: والناس حولك يضحكون سرورًا
فاحرص على يوم تكون إذا بكوا ::: في يوم موتك ضاحكًا مسرورًا

أيها الفضلاء، من الموت لا مفر، ففي الأزل:{كُلُّ نَفۡسٖ

ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥} [آل عمران: ١٨٥].

إن الإنسان بعد الموت يعيش الحياة البرزخية، وهي الحياة في القبر، والقبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، فليكن المؤمن دائمًا مع الله، ومستعدًا للقاء الله، وليتزود قبل موته من الأعمال الصالحة، والتوبة والاستغفار، فالناس محاسبون على أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وكل ما يعمله الإنسان مسطور في صحيفته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ : {يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا} ثم قال:《**أتدرون ما أخبارها؟**》 قالوا الله ورسوله أعلم، قال:《**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عملت كذا وكذا، في يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها**》، رواه الترمذي.

فلنتق الله يا أيها القارئ الكريم، ولنعمل صالحًا يرضاه، لنسعد في حياتنا وبعد مماتنا.

ويا أخي، ها هو أحد العارفين يقول:

تزود من حياتك للمعاد ::: وقم لله واجمع خير زاد

ولا تركن إلى الدنيا كثيرًا ::: فإن المال يُجمع للنفاد

أترضى أن تكون رفيق قومٍ ::: لهم زاد وأنت بغير زاد

رُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه خرج إلى المقبرة، فلما أشرف عليها قال: (يا أهل القبور، أخبرونا عنكم، أو نخبركم، أما خبر من قبلنا، فالمال قد أُقتسِم، والنساء قد تزوجن، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو استطاعوا لقالوا لم نر زادًا خيرًا من التقوى).

لقد آن الأوان يا صاحبي، آن للنائم أن يستيقظ من نومه، وحان للغافل أن يتنبه من غفلته قبل هجوم الموت، بمرارة كأسه، وصعوبة تجرّعه.

هيا يا عبد الله، قبل سكون الحركات، وخمود الأنفاس، والرحيل إلى القبر، هيا لما ينفعك في الدنيا والآخرة.

فتفكروا يا إخوتاه، في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، كفى بالموت واعظًا، كفى بالموت واعظًا، كفى بالموت واعظًا.

كفى بالموت مقرّحًا للقلوب، ومبكيًا للعيون، ومشتتًا للأسر، ومفرقًا للجماعات، وهادمًا للذات، وقاطعًا للآمال والأمنيات.

واللهم ارزقني والقارئ الكريم، ارزقنا ميتة حسنة، وارزقنا توبة نصوحًا قبل الممات، برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

وقفة: مع الدنيا

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال:﴿**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**﴾، رواه البخاري.

يشير هذا الحديث النبوي الشريف إلى وجوب قصر الأمل في الدنيا، وعدم التعلق بها، وعقد الآمال الزائلة عليها، لأن عابر السبيل لا يطيل المكوث، ولا يرضى تدنيس صورته أمام من يمر بهم، عابر السبيل يعي جيدًا بأنه في ممر، وأن له بعد الممر مستقره الذي يبغي.

فهيا أحباب رسول الله ﷺ ، قصروا الأمل، واستعدوا لبغتة الأجل، فما أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل،{وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾} [المنافقون: ١١].

انظروا إخوتي إلى الدنيا نظر نبيكم ﷺ إليها، تأملوا قوله وهو يقول:﴿**مالي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت ظل شجرة ثم راح وتركها**﴾، رواه البخاري وأحمد.

وكان ذلكم الصحابي الجليل، عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء)، ووالله إنها كلمات من عرف حقيقة الدنيا، وما الذي ينبغي تجاهها، صدرت من نفسٍ سمت عن التعلق بالدنيا الفانية، ولذاتها العابرة، وشهواتها الزائلة، كيف لا وهي كلمات ابن عمر رضي الله عنهما؟

وهذا أبو ذر الغفاري رضي الله عنهما يدخل عليه رجل، فجعل الرجل يقلب بصره في بيت أبي ذر، فقال: يا أبا ذر أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتًا نتوجه إليه، فقال: إنه لا بدّ لك من متاع ما دمت هاهنا، فقال أبو ذر: إن صاحب المنزل لا يدعنا هاهنا.

الله أكبر، ما أجمل هذا الكلام لمن تعقّله وتدبره، وفهم مراميه، وحاسب نفسه قبل أن ترديه.

فهؤلاء أيها الإخوة باعوا الدنيا من أجل الآخرة، والآخرة خير وأبقى، فكونوا معاشر الشباب من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.

إذا نظرت أيها الحبيب بعين البصيرة، لرأيت كم هم الذين أسكرتهم الدنيا ببريقها الخادع، وسرابها الجذّاب، وشغلتهم عن الآخرة، حتى ماتوا بغتة وعلى حين غرة، فهلكوا وأصبحوا من النادمين، لم تنفعهم يومها أموالهم، ولا أولادهم، ولا مناصبهم،{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ } [فصلت: ٤٦].

ولله در القائل:

سبيلك في الدنيا سبيل مسافرٍ ::: ولا بدّ من زاد لكل مسافرِ

فأبناء الدنيا كلهم مسافرون، وعلى الله يوم القيامة سيعرضون، وبين يديه سيقفون، وسيقال لكلهم:{ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾} [الصافات: ٢٤، ٢٥].

قال بعض الحكماء: (كيف يفرح الإنسان بالدنيا، ويومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟ كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وحياته تقوده إلى موته؟).

فعليك أيها المسلم الصادق، عليك ألا تستكثر من طلب متاع الدنيا حتى تشغلك، وتلهيك عما خلقت لأجله، أنسيت أنك لم تخلق للدنيا، وإنما خلقت لأجل عبادة الله تعالى:{وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].

قف وقفة تأمل مع الدنيا، تأمل كيف ذهب الأولون، أين الأمم الماضية، والقرون الخالية، أين الذين تمتعوا بالملذات والمشارب،

أين الذين تاهوا على الخلق كبرًا وعتيًا، أين الذين تبختروا في الحلل بكرة وعشيًا، فأين فرعون، وقارون،.... وغيرهم، وغيرهم كثير.

إنها الدنيا الفانية، الدنيا الزائلة، لا يصفو حالها، ولا يقر قرارها، يسعى طالبها ليل نهار فلا ينال منها شيئًا، وسبحان الله العظيم: { وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ } [الكهف: ٤٥].

يا شباب الإسلام: كم من مستقبلٍ يومًا لا يستكمله، وكم من مؤمل لغد لا يدركه، فها هو الهاتف ليل نهار ينادي يا ابن آدم: اغتنمني لعلي لا أعود لك إلى يوم القيامة.

فيومك يومك، وليلك ليلك، بادر بالأعمال الصالحة، واعلم إنما أنت أيام، وإذا ذهب يوم ذهب بعضك.

وقفة بعقلك تجد نفسك قد تركت الدنيا، وقد تعلق قلبك بما عند الله، وما عند الله خير وأبقى.

سبحان العليم:{ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ } [الحديد: ٢٠].

وليس يعني ذلك على الإطلاق، أن يعيش المسلم بلا عمل يجني من ورائه قوت يومه، ويُؤمن فيه ما يساعده على الحياة، بل إن العمل على تأمين ذلك مطلوب شرعًا، قال الله تعالى:{وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ} [القصص: ٧٧].

وتذكر أيها القارئ الكريم، قول الله تعالى حكاية عن مؤمن قوم فرعون:{يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ

ٱلۡقَـرَارِ ﴿٣٩﴾} [غافر: ٣٩].

* * *

وقفة: مع حب الوطن

كانت تلك وقفة مع الدنيا، وإن كان المؤمن لا يركن إليها، ولا يغتر بزخارفها، فكيف ينبغي للمؤمن أن يكون مع وطنه، وهو يعلم بأن حب الوطن من الإيمان؟

فالأوطان بالنسبة للأمم قاعدة وجودها، ومهد حضارتها، وأرض بنائها، ومقومات معاشها.

والإنسان من غير وطنٍ يكون مشردًا، فلا أمن ولا أمان، ولا سكينة ولا اطمئنان، فلا عجبَ أن نرى نفس الإنسان تحن إلى وطنه، وروحه تهفو إليه، يؤثره على كل محبوب، ويقدمه على كل مطلوب.

الوطن يا أحبتي، تلكم الأرض التي يحيا عليها الإنسان، برمالها، وأحجارها، وأشجارها، وهوائها، ومياهها.

هو تلكم الأرض بمساجدها، بآثار الأجداد، وتكوين الأبناء والأحفاد، وهو مقر الأرحام والجيران.

الوطن للإنسان كالثوب واللباس، هو مسقط الرأس، ومكان الصبا، وفيه النشأة، فالإنسان يعيش أحلى لحظات صباه في وطنه، يسلك الطرق، ويتسلق الجبال، يلهو ويلعب منذ نعومة أظافره، إلى جوار أهله، وجيرانه، ويشكل الخلية الأولى لصداقاته، فيا ليت الشباب يعودُ يومًا!

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، إن حب الوطن ضرورة شرعية، وعقلية، وقد علمنا الأسوة محمد ﷺ ، كيف يكون حب الوطن، فها هو قد تعلق قلبه وبصره صلوات الله وسلامه عليه، بحب بلده الذي نشأ وترعرع فيه، بعد أن عز عليه فراقه، ولولا أن الدعوة إلى الله أعز عليه لما هاجر، ولكن حب الدين مقدم على حب

الوطن.

لقد حوت كتب السيرة، وسجل التأريخ في سجلاته، ودوّن في دفاتره، كلمة النبي ﷺ ، عندما خرج من مكة مهاجرًا: **﴿ما أطيبك من بلدٍ وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني ما سكنت غيرك﴾**، رواية الترمذي.

وعند أحمد، عن عبد الله بن عدي ابن الحمراء قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو على ناقته واقف بالحزورة يقول: **﴿والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت﴾**.

الله أكبر، يرشدنا ﷺ في هذه الكلمة، إلى ضرورة حب الأوطان، ويُسطّر أروع الأمثلة في مدى تعلق الإنسان بوطنه، وكم ينبغي أن يبذل من حبٍ تجاه ذلك الوطن.

بهذا التوجيه من النبي ﷺ ، انغرس حب الأوطان في قلوب الصحابة الكرام، فهذا بلال رضي الله عنه كان في المدينة المنورة، إذ أقلعت عنه الحمّى، يرفع رضي الله عنه عقيرته - أي صوته - قائلاً في حنينٍ وشوق إلى مكة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ::: بوادٍ وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يومًا مياه مجنّة ::: وهل يبدون لي شامة وطفيل

بل بلغ به الحب والشوق إلى الوطن، أن دعا على أولائك الذين أخرجوه فقال: **﴿اللهم العن شيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا﴾**.

أيها الفضلاء الأماجد، حب الوطن غريزة، وجبلة أشربت في قلوب الناس، بل وفطرة فطر الله الخلق عليها.

فالطيور تحن إلى أوكارها، والحيوانات إلى مرابضها، وكل ذي

وطن إلى وطنه، وكأن هاتفًا يقول: الوطنَ الوطن.

فما أجمل ما تغنى به الشعراء، وعبر عنه الحكماء، وكتبه الأدباء عن حب الأوطان، فهذا يقول:

وطني لو شغلت بالخلد عنه ::: نازعتني إليه بالخلد نفسي

وقال غيره:

ولي وطن آليت ألا أبيعه ::: وألا أرى غيري له الدهر مالكًا
وحببَّ أوطان الرجال إليهم ::: مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهموا ::: عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

وقال آخر:

بلادي وإن جارت علي عزيزة ::: وأهلي وإن ظنوا علي كرام

وغيرهم كثيرٌ كثير، فها هي أعرابية تحن إلى خيمتها فتقول: (من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلادها توّاقة، وإلى مسقط رأسها مشتاقة).

وتلك ميسون زوجة معاوية، تذكر وطنها ومرتع صباها، فتحنّ وتقول:

لبيت تخفق الأرواح فيه ::: أحب إليّ من قصرٍ منيفِ
ولبس عباءة وتقر عيني ::: أحب إليّ من لبس الشفوفِ

فيا إخوتاه: ينبغي أن نقف وقفة مع الوطن، وأن ننظر في أوطاننا، وما ينبغي أن نقوم به تجاهها، فاحرصوا على كل ما يريده الوطن، من بنائه ورفعة شأنه، والعمل على نهضته، وحافظوا على ممتلكات أوطانكم، واعملوا على بث روح التكافل والتحابب بين أبنائه، فمثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

كما أن الدفاع عن الوطن فرض عين على أبنائه، والموت في الدفاع عن الوطن شهادة، وأن حراسة الوطن من أعظم الأعمال لنيل الأجر والثواب، يقول المصطفى ﷺ :﴿**عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**﴾.

فيا عبد الله، الوطن الوطن، تذكر أنه مسقط رأسك، وأنه فطرة الله التي فطرك عليها، وأن نبيك ﷺ ضرب أروع الأمثلة في حب الأوطان.

فالله الله في الوطن، ونسأل الله أن يجعل وطننا آمنًا مطمئنًا، سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين.

* * *

وقفة: مع الوقت

كثير هم الذين جهلوا قيمة الوقت الذي منحهم الله إياه، ولم يدركوا أنه ثروتهم المعنوية الوحيدة، ورصيدهم الروحي الكبير، فعتوا على وقتهم يصرفونه في ما لا يعني، ويهدرونه في ما لا يفيد، ويضيعونه في القيل والقال، واللغو واللغط، متناسين أنهم مسؤولون عن كل برهة منه يوم القيامة، يقول رسول الهدى ﷺ :﴿**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع**﴾، وذكر منها ﷺ :﴿**وعن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟**﴾، رواه الترمذي.

إنه الوقت أيها الفضلاء، فالله تعالى جعل حياتنا عبارة عن جملة محدودة من الدقائق والثواني، ودعانا إلى الانتفاع بكل جزء من أجزائها باغتنامه في العمل الصالح، وما يعود علينا بالنفع في دنيانا وأخرانا.

وحذرنا سبحانه وتعالى من كل ما قد يؤدي بنا إلى التثاقل والكسل، ونبهنا إلى أننا سنحاسب عن وقتنا، وعن جناية تضييع الوقت، فالإنسان لم يخلق عبثًا، ولم يترك سدى.

يا عبد الله، كن على ثقة بأن الحياة ليست مستمرة، وكن على يقين بأنها لا تمتد إلى ما لا نهاية، بل لها بداية، ومحصورة بنهاية، وما علينا سوى أن نعمل خلال هذا الزمن، وأن نصرف كل جزء من أجزائه في العلم النافع، والعمل الصالح، فإذا ما جاءت النهاية لهذه الحياة الدنيا، وجدنا أنفسنا قد فزنا في السباق الحقيقي بالميزان الراجح:{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا} [آل عمران: ٣٠].

أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، الوقت الوقت،

فالأيام تطوى، والأعمار تفنى، تذهب سراعًا، وتمضي تباعًا، وسبحان الباقي الذي لا يزول، فاغتنم أيها المسلم أيامك، واقض ساعاتها في ما يفيدك، تكن من الفائزين.

فالسعيد يا أحبتي، من اغتنم الليالي والساعات، وتقرب إلى الله بالطاعات، وتزود من الفانية بالحسنات، فاليوم يهدم الشهر، والشهر يهدم العام، والعام يهدم العمر، ونسأل الله أن يطيل أعمارنا، ويرزقنا فيها العمل الحسن، يقول الحبيب محمد ﷺ: ﴿**خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله**﴾ رواه الترمذي.

إن الإنسان بين أمرين، بين أن يثاب على الطاعة والإحسان، أو أن يعاقب على الإساءة والعصيان، كما قال جل وعلا وتقدس: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾} [يونس: ٤٥].

وقفة العقلاء أيها الإخوة، فالعاقل يقف مع أمسه ويومه وغده، وقفة تأمل وتفكر، فمن استوى يومه وأمسه فهو المغبون، ومن كان يومه شر من أمسه فهو الملعون.

فقف مع نفسك، ومع حياتك، فراجع سجلاتها، وتصفح دفاترها، وانظر فيما مر من عمرك، وقف مع كل يوم، وكل شهر، وكل سنة انسلخت عنك، وسيسألك الله عنها، وهي ليست بالزمن القليل.

أيها المسلم، ويأيتها المسلمة، السنة اثنا عشر شهرًا، والشهر ثلاثون يومًا، واليوم أربع وعشرون ساعة، والساعة ستون دقيقة، والدقيقة ستون ثانية، وفي كل ثانية نعمة من الله عليك، وأمانة لديك من الله تعالى.

إن المؤمن إذا لم ينتفع بوقته خير انتفاع، ولم يستعمل رصيده من الوقت أحسن استعمال، ولم يعط لكل وقتٍ حقه، ولكل حق وقته، ولم

يكن كل يوم في تقدم مستمر بحسن تصرفه في الوقت، فإنه يكون في تأخر يهوي به إلى الهاوية.

الإنسان يا أخي في هذه الحياة سائر لا واقف، فإما أن يصعد إلى الأعلى، وإما أن ينزل إلى الحضيض.

الإنسان إما أن يتجه إلى الأمام، وإما أن يتقهقر إلى الوراء، فمن لم يتقدم إلى الجنة بالأعمال الصالحة، فهو متأخر إلى النار بالأعمال السيئة، إذ لا منزل للإنسان في نهاية المطاف سواهما، ولا طريق يؤدي إلى غيرهما، وصدق الله العظيم:{لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾} [المدثر: ٣٧].

فها هي يا عبد الله دقات قلبك تناديك:

دقات قلب المرء قائلة له ::: إن الحياة دقائق وثوانٍ

فاغتنموا فرصة حياتكم قبل أن تأتي أحدكم منيته، فيندم على ما ضيع من عمره ووقته:{حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾} [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، عندها يندم ويقول:{يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾} [الفجر: ٢٤].

فالمطلوب عمارة الوقت، وقضاؤه على الوجه الذي ينتفع به الإنسان في الدنيا والآخرة، وينجز فيه أعماله، ومن هنا جاءنا حث النبي ﷺ على اغتنامه، بل اعتبر صلوات ربي وسلامه عليه، اعتبر من يهدر وقته بلا فائدة، هو شخص مغبون، حيث قال عليه الصلاة والسلام:《**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**》، رواه البخاري ومسلم.

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ولكل وقت آداب، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ

الرجال).

فوقتك وقتك يا عبد الله، اغتنم وقتك، واحرص على بذله فيما يفيد وينفع، وحذار حذار أن تكون من المغبونين.

جعلني الله وإياك، ممن يحرصون على الاستفادة من أوقاتهم، وتكون سببًا في تقدمهم إلى الأمام، بفضل الله رب العالمين.

* * *

وقفة: مع العمل

أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، لقد مجّد الإسلام العمل، ورفع قيمته، وربط به كرامة الإنسان، وجعله فريضة من الفرائض، وواجبًا من الواجبات.

الإسلام يا أحبتي، لا يقبل من الإنسان الكسل والخمول، ولا يريد للحياة الإنسانية الركود، ولا يرضى لها بالتوقف، قال تعالى:{لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾} [المدثر: ٣٧]، فمن لم يتقدم بالطاعة، فحتمًا قد تأخر بالمعصية، ولم يذكر جلت قدرته التوقف، ذلك أن التوقف هو عين التأخر، والإنسان إذا توقف عند نقطة معينة، وتقدم الآخرون، فقد أصبح متأخرًا عنهم، والظاهر أنه توقف، فسبحان الله العظيم، على بديع كلامه، ودقة معاني القرآن وأحكامه.

الإسلام، يحثُّ على حياة في حراكٍ دائم، وبناء مستمر، فيسعى فيها الإنسان عملاً في سبيل قوته، وقوت عياله، وفي سبيل تحقيق الخير للناس.

يقول الله تعالى:{هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾} [الملك: ١٥].

وفي الحديث، يقول المصطفى ﷺ :**«من بات كالاً من طلب الحلال بات مغفورًا له»**، رواه ابن عساكر.

وفي حديث آخر:**«إن من الذنوب ذنوبًا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة..تكفرها الهموم في طلب المعيشة»**، رواه أبو نعيم وابن عساكر.

والأبلغ من ذلك، أن النبي ﷺ ، صافح يَدَا سعد بن معاذ رضي الله عنه، فإذا هما خشنتان، فسأله النبي ﷺ عن ذلك، فقال: أضربُ

بالمر والمسحاة لأنفق على عيالي، فقبل رسول الله ﷺ يده، وقال: «**كفان يحبهما الله**».

لا إله إلا الله العظيم الحليم، هل رأيتم أعظم من هذا التكريم؟ وهل سمعتم أبلغ من هذا الثناء، صفوة الخلق ﷺ ، يُقبل اليد العاملة، ويعلن أنها يدٌ يحبها الله؟

فمن ذا الذي يترفع عن العمل بعد هذا الحديث، ومن لا يرغبُ أن يكون من العاملين بعد قراءة هذه الوقفة.

إنها شريعة الإسلام، تدعو إلى العمل، وتحث على الكدّ في طلب المعيشة، وتثبتُ هذه الشريعة الغراء الشرف للعمل والعمال، وها هو النبي ﷺ يرشد أصحابه، إلى ضرورة العمل حتى قيام الساعة، فقال صلوات الله وسلامه وعليه: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة – نخلة –، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**»، رواه أحمد.

إن نظامًا يدعو أتباعه إلى العمل بهذه الصورة، وإلى غرس شجرة حتى في آخر لحظة من لحظات الدنيا، وقبل أن تجتاح أحدهم زلازل القيامة، لنظام جدير بالحياة، وجدير أن يتمسك به المؤمنون، ولا يسعنا إلا أن نحمد الله تعالى أن جعلنا من أتباع دينه الإسلام، فنقول: الحمد لله رب العالمين.

فيا أيها القارئ العزيز، وقفتك مع الوطن، تجعلك ممّن يسرعون إلى العمل من أجل نهضة أوطانهم، ومن أجل حياتهم، وقوتهم، وقوت أسرهم، وحتى ينتشر بفضل الله تعالى، ثم بفضل العمل، حتى ينتشر الخير والسعة بين الناس.

فهبوا إلى العمل، ولا تحْقِرُوا من الأعمال شيئًا، شريطة أن تكون مما أحلّه الله وأباحه، وليكن لكم في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، وأن يكون لكم في صحابته رضي الله عنهم من بعده المثل الأعلى،

وصـــدق الله العظـــيم:{وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ} [التوبة: ١٠٥].

واعلموا أن الله لا يقبل من العمل إلاّ ما كان صالحًا، قال ﷺ: «**لا يُقبل إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان**»، رواه الطبراني.

فاللهم اجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، واجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاك، يا رب العالمين.

* * *

وقفة: مع الوالدين

ما أجمل تلك الصورة، وما أبهى ذلكم المنظر الذي شُوهد في المسجد الحرام، إنه شاب يماني بار بوالديه، يحمل أمه، ويطوف بها الأشواط السبعة، وتطلب المسكينة من ولدها ألا يتعب نفسه، وبينما هو كذلك يكمل الطواف بوالدته، يرى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فيسأله قائلاً: يا ابن عمر، أتراني جزيتها حقها؟ فيقول: (ولا بزفرة من زفراتها حين الولادة).

الله أكبر، فماذا عساني وإياك أن نقول؟

إنه تكريم الله تعالى للإنسان، وإذا ما وصل الأمر للوالدين، بلغ التكريم غايته ومنتهاه، في وجوب الصلة، والتراحم، والإيثار، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فاتفقت جميع الشرائع السماوية على وجوب احترام الوالدين والبر بهما.

فالشكر لله مقرون بالشكر للوالدين، حيث قال تعالى وتقدس: { وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾} [لقمان: ١٤].

ولقد أكرم الإسلام الوالدين إكرامًا عظيمًا، وجعل لهما المنزلة العلية، والمكانة الرفيعة، وأمرنا ببرهما، وإكرامهما، والإحسان إليهما، وعدم التأفف منهما، بل لقد جعل النبي ﷺ بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله تعالى، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال: (سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ فقال:﴿**الصلاة لوقتها**﴾، قلت: ثم أي؟ قال:﴿**بر الوالدين**﴾، قلت: ثم أي؟ قال:﴿**الجهاد في سبيل الله**﴾، متفق عليه.

فالحظ أخي الكريم أنه ﷺ قدّم بر الوالدين على الجهاد في سبيل

الله، وما ذا إلا دليل كافٍ على أن بر الوالدين كبيرة أهميته، وعظيم شأنه، بل إن رسول الله ﷺ جعل بر الوالدين جهادًا، وحسبك أن تقرأ حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: جاء رجل إلى نبي الله ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال ﷺ :﴿**أحيٌ والداك؟**﴾ قال: نعم، قال:﴿**ففيهما فجاهد**﴾، متفق عليه.

والأبلغ من ذلك أيها الأخ الحبيب، ما رواه أنس رضي الله عنه، إذ قال: (أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إنني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه، قال ﷺ :﴿**هل بقي من والديك أحد؟**﴾ قال: أمي، فقال عليه الصلاة والسلام:﴿**قابل الله في برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد**﴾، متفق عليه.

فيا لله، يا لها من منزلة للبارين بوالديهم، وكم لهم عند الله من الأجر والثواب، فاظفر ببر والديك، وكن من أولائك الذين يرزقون أجر الحاج والمعتمر والمجاهد ببرهم وإكرامهم للوالدين.

وإنه لمِما يؤسف له حقًا، ويعتصر له الجبين عرقًا، ويجعل القلب مكدرًا حزينًا، أن نرى أو نسمع أو نقرأ عن الكثيرين ممن أبوا إلاّ أن يسيؤوا لآبائهم وأمهاتهم، ناسين ما يقدمه الوالدان للأبناء منذ نعومة أظفارهم، وضاربين بالنصوص الشريفة التي تحتم الإحسان للوالدين عُرض الحائط، والله المستعان.

ويأبى الله، ورسوله، والمؤمنون أن يعامل الآباء والأمهات معاملة لا تليق بهم، فقد حذر تعالى اسمه من الإساءة إليهم، ولو بالتأفف، أو التذمر، أو الاستياء والازدراء والاحتقار، فقال سبحانه:{إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾} [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبوي يبكيان، فقال الرءوف الرحيم ﷺ :﴿ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما﴾، رواه أبو داود.

هي تعاليم الإسلام السمحة، ومبادئه السامية، التي تنزل الناس منازلهم، فتعرف للوالدين حقهما، وتحفظ للولد حقوقه، فما أعظمه من دين، وصدق الله العظيم:{إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ} [آل عمران: ١٩].

إن والديك أيها الحبيب، ويا أيتها الفاضلة، أحق الناس بحسن الصحبة، وجميل البر والإحسان، مكافأة لهما ومزيد، فلعظيم فضلهما عليك، وكبير إحسانهما إليك، وشدة عنايتهما بك صغيراً وكبيرًا، فلا تتردد وقل:{رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا} [الإسراء: ٢٤].

بسببهما خرجت من العدم إلى الوجود، وبفضل رعايتهما اشتد ساعداك حتى صرت رجلاً قويًا، وحتى أصبحتِ أختي الكريمة سيدة فاضلة.

أيها الابن اللطيف، حملتك أمك وهنًا على وهن، حملتك كرهًا ووضعتك كرهًا، في عناءٍ وألم، وأضعفت قواها بإرضاعك حولين كاملين، صرخت، وبكت، وسهرت، وصبرت، جزاها الله خيرًا، ولم تزل مع أبيك في رعايتك، وخدمتك، والإنفاق عليك، أفلا يستحقان منك البر والعطف والتودد والإحسان؟

قف وقفة صدقٍ مع الله، وقل في الإجابة عن السؤال السالف: بلى هما أحق الناس بصحبتي، فلا عقوق بعد اليوم، ولا تأفف بعد اللحظة، وسل الله التوفيق.

أيها المسلم، إن وجود والديك أو أحدهما فرصة ثمينة، لنيل

مرضاة الله تعالى، وحصول الدرجات العلى، فكم من نادم على معاملته السيئة لوالديه وقد رحلا إلى الدار الآخرة.

كم يتمنى الكثيرون، لو كان أحدهم بارًا بوالديه، محسنًا إليهما يوم أن كانا على قيد الحياة.

فلا تفوتنّك الفرصة يا من تعيش الآن في كنف والديك، أو يعيشان هما في كنفك، عليك ببرهما، وطاعتهما، والإحسان لهما، والشكر إليهما، وهذه طريق الجنة إن كنت ممن يحرصون عليها.

جاء رجل يستشير النبي ﷺ ، فقال له:﴿**ألك والدان؟**﴾ قال: نعم، قال ﷺ :﴿**إلزمهما فإن الجنة تحت أقدامهما**﴾، رواه الطبراني بإسناد جيد.

ولما سئل صلوات ربي وسلامه عليه: ما حق الوالدين على ولدهما؟ فقال للسائل:﴿**هما جنتك ونارك**﴾، رواه ابن ماجه.

وكما تعلمون أيها الفضلاء، أن الإنسان العاقل السوي، لا يهدأ له بال حتى يكافئَ من أسدى إليه معروفًا، أو قدم له خدمة ولو لمرة واحدة، فكيف بالحبيبين، الوالد والوالدة حفظهما الله، الذين شادوا حياة أبنائهم، بألمهم، وسهرهم، وتعبهم، وعرقهم، ودمائهم، وأموالهم، يحوطون أولادهم بالرعاية والحنان ليل نهار، ويستعذبون المرّ من أجل راحة أبنائهم.

كيف يُتصور أيها الأحبة، أن يُقابلَ الآباء والأمهات بالجحود والنكران، لهذه الرعاية، وتلك التضحيات؟ وكيف تسوّل للأبناء أنفسهم أن يعقوا والديهم؟

فنحن أمة القرآن الكريم، أمة الترابط والتلاحم، أمة التراحم والتآلف، أمة الوفاء والبر والإحسان، كبير الأسرة بيننا يبقى كبيرها، وكلما تقدمت به السن ازداد هيبة وجلالاً في عيون أبنائه وأحفاده،

يتسابقون، بل ويتقربون إلى الله تعالى، بخدمة ذلك الكبير المسن، وتقبيل يديه، وطلب الرضا، فيا رضا الله ثم رضا الوالدين.

وما أجدرنا أن نقف عند حدود الله فلا نتعداها، وأن نبدأ حياة جديدة بدءًا باللحظة ملؤها المحبة والمودة والوئام، وأن نبادر إلى صلة الأرحام وبر الوالدين، فمن كان بارًا محسنًا في بره وإحسانه، فليزد في ذلك البر والإحسان، ومن كان غير ذلك فليبادر بالتوبة، وجبر الخاطر، وإصلاح الأمور والإحسان إلى الحبيبين الوالدين، فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها.

رزقني الله الحليمُ العظيم وإيّاكم، رزقنا حبّ والدينا، والبِرّ بهما، والإحسان إليهما، والحِلْم في التعامل معهما، ونسأله تعالى أن يبارك لنا في آبائنا وأمهاتنا إنه خير مُجيب، وأكرم مسؤول.

* * *

وقفة: مع الأرحام

صلة الرحم أخي المسلم، هي صلة قرابتك الوارثين منهم وغير الوارثين، فهيا معي إلى أولي الأرحام، وكن سباقًا للخير في زيارتهم، عُد مريضهم، وتصدق على فقيرهم، وتفقد أحوالهم، امدد أرحامك بالمال، وتفقد أحوالهم، شاركهم في أفراحهم، وواسهم في أحزانهم وأتراحهم، ابذل لهم النصيحة والإرشاد، وادفع الضرر عنهم، وليكن لك في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فها هو ﷺ مثلنا الأعلى، وقد كان أكثر أقاربه وأهله من أشد الناس عداوة له، فقد آذوه وقاطعوه، وحاولوا قتله، ومع ذلك احتفظ لهم بمكانتهم، فلما نصره الله عليهم بفتح مكة، عفا عنهم ووصل أرحامه منهم، وشعاره:﴿**اذهبوا فأنتم الطلقاء**﴾.

صلة الأرحام تؤلف القلوب، وتجبر الخواطر، وتذهب الضغينة، وتدعو إلى الألفة والمحبة، وتسهم في بناء المجتمع المسلم المتماسك، فوقفة مع أرحامك أخي الكريم ولن تخسر، بل إنها السعادة في الدنيا والآخرة.

صلة الأرحام مدعاة لترطيب القلوب، وتهذيب النفوس، تدل على خشية الرحمن، وعلى كمال الإيمان، وهي مظهر من مظاهر ترابط الأسرة والمجتمع، ووشيجة من وشائج المحبة والتواصل، لمجتمع مسلم متماسك لا تهزه العواصف، ولا تقوّضه الفتن، ملاك قوامه الشريعة الإسلامية، وامتثال القرآن الكريم.

فصلة الأرحام أوثقت عراها شريعة الإسلام، في كتاب الله المبين، وسنة رسوله الأمين ﷺ ، وللدلالة على أهمية صلة الأرحام، ومكانتها في الإسلام، فقد قرنها الله تعالى بالأمر بتقواه فقال جل جلاله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ

رَقِيبًا ﴿١﴾} [النساء: ١].

الواصل لرحمه أيها القارئ الكريم، وأَسألُ الله أن أكونَ وأنت كذلك، يكونُ محبوبًا عند الله، وعند خلقه، ويُوسّع الله عليه في رزقه، ويبارك له في عمره، ويدفع الله عنه ميتة السوء، ويبقى ذكره الطيب بعد موته، ويرزقه الله ذرية صالحة تدعو له بعد موته، وتترحم عليه، ويوسع الله على ذريته، ويكسب ذريته محبة الناس لهم، والدليل حديث نبينا ﷺ :﴿**من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه**﴾، رواه البخاري.

إذا أردت أيها المسلم الحساب اليسير يوم القيامة، ومن ثم جنة عرضها السماوات والأرض، فكن واصلاً لرحمك، واستمع لحديث الحبيب محمدٍ ﷺ :﴿**ثلاثٌ من كنّ فيه حاسبه الله حسابًا يسيرًا، وأدخله الجنة برحمته**﴾، قالوا: ما هي يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال:﴿**تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمّن ظلمك، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة**﴾، رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم بسند حسن.

فيا لفرح الواصلين، ويا سعادة الذين ارتبطوا بأرحامهم، فلا ضغينة، ولا عداوة، ولا بغضاء، إنما هم دائمًا:{وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ} [الأنفال: ٧٥].

فيا إخوتي الأعزاء، إن صلة الرحم مطلوبة من النساء كما هي مطلوبة من الرجال على حدٍ سواء، وبخاصة إذا كان أهل المرأة ممّن بهم فاقة، أو لهم حاجة، فعن أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنها، أنها أعتقت وليدة لها، ولم تستأذن النبي ﷺ ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي " أي جاريتها "، قال:﴿**أوَ فعلت؟**﴾ قالت: نعم، قال:﴿**أما إنك لو أعطيْتِها أخوالك كان أعظمَ لأجرك**﴾، رواه أبو داود.

وليست صلة الرحم أن نزور من زارنا منهم فحسب، فهذه

المعاملة بالمثل، ولكن الصلة الحقة، والمودة الحقيقية، هي التي بينها رسول الله ﷺ بقوله: ﴿**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها**﴾، رواه البخاري.

وقد بين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، أجر من يصل رحمه من طرفٍ واحد، وذلك حين قال له رجل: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيؤون إلي، وأحلم عليهم ويجهلون علي، فقال ﷺ: ﴿**إن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**﴾، والملّ هو الرماد الحار، رواه مسلم.

وأُحذرك أيها الأخ المبارك، وأحذر نفسي من قطيعة الرحم، فإن لقاطع الرحم عقوبة دنيوية وأخروية، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى.

فإن الله تبارك وتعالى يعجل لقاطع الرحم ببعض العقوبات في الدنيا، قال ﷺ: ﴿**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**﴾، رواه أحمد في المسند، وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

قال عز اسمه: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ } [محمد: ٢٢، ٢٣]، وفي الحديث عند البخاري في الأدب المفرد، قال صفوة الخلق ﷺ: ﴿**إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم**﴾.

فمن وصل رحمه وصله الله، ومن قطع رحمه قطعه الله، وعرض نفسه لسخط الله وعقوبته في الدنيا والآخرة.

نسأل الله تعالى أن نكون ممن يصلون أرحامهم، لِنَسعدَ في الدنيا والآخرة، اللهم آمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

وقفة: مع الجيران

بعد صلتك لأرحامك أيها المسلم الموحّد، تأتي وقفة حرصت عليها الشريعة الإسلامية، والتي لا يخفى عليك، ولا على كل ذي لُبٍّ منصف، أنها تحرص دائمًا على راحة الإنسان، وطمأنة نفسه، وجاءت لأجل سعادته، سواءً كان فردًا أو جماعة.

ومن هذا المنطلق، نجد شريعتنا الغراء، رتبت حقوقًا للجار على جاره، حتى يعرف كلٌ منهما ما له، وما عليه.

وإذا ما التزم كل جارٍ بذلك، ساد الأمن بين الناس، وعمت الطمأنينة بينهم، وعاشوا في ألفة وتحابب، قدوتُهم في ذلك محمد ﷺ، الذي عرف حقوق الجار فأداها، فهو ﷺ، كان جارًا ليهودي، فما رأى ذلك اليهودي من نبينا صلوات ربي وسلامه عليه إلا ما سره، كيف لا ورسول الله صاحب الخلق العظيم.

فهيا إخوة العقيدة، لنبحر سويًا في ما ينبغي لجارنا علينا، ولنستمع لما جاء به دين السماحة في هذا الأمر.

يقول الله عز اسمه:{وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وما ملكت أيمانكم} [النساء: ٣٦]، ففي هذه الآية تلحظ عزيزي القارئ كيف قرن الحي القيوم بين عبادته جل جلاله، وبين الإحسان إلى الجار، فمن كان محسنًا لجاره فهو في مفهوم عبادة ربه، ومن كان مسيئًا لجيرانه فقد انحرف عن مفهوم العبادة لله تعالى، وحاد عن الصراط القويم.

وحسبك أن تسمع مكانة الجار، من حديث النبي المصطفى المختار، وهو يقول:﴿ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه﴾ متفق عليه.

ويقول أيضًا ﷺ :﴿والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن﴾، قيل: من يا رسول الله، قال:﴿من لا يأمن جاره بوائقه﴾، متفق عليه.

فيا أخي الفاضل، ويا أختاه، الجار الجار، حقه مكفول، فاجعلوا جيرانكم في مرتبة قريبة من مرتبة الأرحام والقرابات، أحسنوا معاملة الجيران، فمن زيارات في الأفراح، إلى مواساة في الأحزان والأتراح، عودوا مرضى الجيران، وكونوا كما كان سيد المرسلين.

فما بال المحاكم، ودوائر القضاء، غصّت كثيرًا بسبب ما يحدث من مشكلات بين الجيران، وما ذلك إلا لأننا تركنا تعاليم الإسلام، فلم نعرف للجار حقًا، ولم نحفظ له مكانة، ولم نبق بيننا وبينه ودًا، والله المستعان.

وفي الحديث:﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره﴾، رواه مسلم، وفي حديث آخر:﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره﴾، متفق عليه.

فها قد عرفت أخي المسلم ما للجار، وها قد رأيت اهتمام الإسلام بالجار، ولتكن الأحاديث السابقة أكبر واعظ لي ولك في التعامل مع جيراننا.

فكن يا عبد الله، محبًا لجارك، حافظًا لحقوقه، مراعيًا حرمته، إن شاورك نفعته، وإن قطعك وصلته، وإن أساء إليك عفوت عنه ورحمته، فخير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره.

أما عن أنواع الجار الذي يجب الإحسان إليه، وعدم إيذائه، وعدم إزعاجه، وعدم إيقاع الشرور به، وعدم الإساءة إليه، وعدم وَعدم وعدم، فيوضح ذلك قول الحبيب ﷺ :﴿الجيران ثلاثة، جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقًا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، وهو أفضل

الجيران حقاً، فأما الجار الذي له حق واحد، فجار مشرك لا رحم له، فله حق الجوار، وأما الجار الذي له حقان، فجار مسلم، له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الجار الذي له ثلاثة حقوق، فجار مسلم ذو رحم، له حق الإسلام، وحق الجوار، وحق الرحم﴾، رواه البزار.

فهيا أيها الفضلاء، هيا إلى الجيران، إحسان إليهم، وعيادة لمرضاهم، وصلة وبر بهم، ومن كان كذلك فليستبشر، ومن كان إلى جيرانه مسيئًا فليحذر فليحذر، وليستغفر الله تعالى، ويلتزم بالإحسان تجاههم حتى يسعد في حياته وبعد مماته.

نسأل الحي القيوم، ذا الجلال والإكرام، أن يجعلنا ممن عرفوا حق الجوار فالتزموا به، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو الرءوف الرحيم.

* * *

وقفة: مع الأيتام

العجب كل العجب، من أولائك الذين جعل الله تعالى لهم طريقًا إلى الجنة، وسببًا إلى رضوان الله، ولكن وللأسف، جفت ينابيع الرحمة في نفوسهم، وقست قلوبهم.

أولائك هم الذين يَأوُونَ أيتامًا في بيوتهم، ولا يحسنون إليهم، ولا يعاملونهم المعاملة التي ترضي الله تعالى، وترضي رسوله ﷺ .

أنسي هؤلاء وغيرهم، أن الأيتام أحق الناس بالرحمة لهم، والرأفة بهم، والشفقة عليهم، نظرًا لضعفهم، وصغرهم وعجزهم، فيا عجبي كيف أصبحت قلوب كثيرٍ من الناس إلا من رحم الله!

أيها المسلم المبارك، إن نبينا محمدًا ﷺ ، وقد عاش يتيمًا، قد عرف ما يهزّ مشاعر اليتامى، وما يواسيهم، وما يفرح قلوبهم، وما يؤلمهم وما يسعدهم، فأمر بإكرام اليتامى، واستوصى بهم خيرًا، فها هو يقول ﷺ :﴿خير بيت في المسلمين، بيت فيه يتيم يُحسنُ إليه، وشر بيت في المسلمين، بيت فيه يتيم يساء إليه﴾، رواه ابن ماجه.

وكان ﷺ ، يمسح على رؤوس اليتامى، رأفة بهم، وشفقة عليهم، وامتثالاً لأمر ربه تعالى:{فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩} [الضحى: ٩].

واستمع إليه ﷺ ، وهو يجعل من منزلة اليتيم، ومقامه عند رب العالمين، كمنزلة النبيين، قال ﷺ :﴿أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا﴾، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما، رواه البخاري.

أفلم يعِ المسلمون مكانة الأيتام، فيحسنوا إليهم، ويكرموهم، وينفقوا عليهم مما بسطه الله لهم من رزق؟

أم اختاروا الطريق الأخرى، فصاروا يعاملون اليتامى بجفوة وغلظة، ويدُعُّونهم دعًا، فكأنه ما مرّ بهم قول الله تعالى:{أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي

يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾} [الماعون: ١ - ٣].

فيا أيها الأحبة، لقد أولى الشارع الحكيم، اهتمامًا كبيرًا بالأيتام، فجاء التأكيد الإلهي في النهي عن أكل أموال اليتامى بالباطل، في غير موضع من كتاب الله جل وعلا، كما جاء الأمر بحسن رعاية اليتيم، وتعاهده إلى أن يبلغ سنّ الرشد، وتظهر أمارات الحكمة في تصرفاته، وذلك في آيات كثيرة، فمن ذلك قول ربنا:{وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ} [الأنعام: ١٥٢].

وقد بلغ التحذير من أكل مال اليتامى ذروته، في قول الله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾} [النساء: ١٠].

فيا أيها الأخ الحبيب، وأيتها الأخت الفاضلة، ذلك هو اليتيم، وذلك هو ما ينبغي له باختصار الاختصار.

فالله الله في اليتامى، امسحوا على رؤوسهم، لا تهربوا من كفالتهم، وقوموا على شؤونهم، وتقربوا لله سبحانه وتعالى برعايتهم وتعاهدهم.

ومن كان كافلاً لليتيم قائمًا على رعايته بتقوى الله، ووفق ما شرع جل وعلا فليبشر بالثواب العظيم، ومن كان مقصرًا، ولليتامى مسيئًا فليستغفر الله، إن الله هو الغفور الرحيم.

واعلم أيها القارئ الكريم، أن ظلم اليتيم، وإيذاءه، وأكل ماله بالباطل، حرام حرامٌ حرام، ونار تلظى، وظلم وسُحت، نسأل الله أن يجيرنا من ذلك.

* * *

وقفة: مع الطريق وسلوكياتها

مشاهد متعددة، وصور عديدة، تشمئز منها النفوس، ويندى لها الجبين، إلا أن البعض يراها أمرًا هينًا، وحدثًا عاديًا، فلا يلقي لها بالاً، وذلك هو حال الطريق في مجتمعاتنا.

فهذا يلقى النفاية على قارعة الطريق، وتلك امرأة تسكب الماء من نافذة بيتها وبلا مبالاة، وذاك انتهك حرمة الطريق، فامتلك الرصيف لتجارته وبيعه، وعرض سلعته، وغيره الذي يغلق الطريق ليقيم حفل فرحٍ، أو بيت عزاء، أو يغلقه بالرمال والحجارة، لأنه يبني طابقًا آخر.

وكذلك الفتية الذين اتخذوا من الطريق مكانًا للعب، وأدهى وأمر من ذلك، السائق المتهوّر، الذي لا يراعي للطريق أدبًا، ولا يعرف للطريق حرمة، فلا وازع ديني، ولا احترام لقيد قانوني، ولا اهتمام بظرف اجتماعي، فيجلب الأذى لنفسه ولغيره، وإلى الله المشتكى، والله المستعان.

أيها الأحبة، لم يغفل الإسلام أن يضع قواعد عظيمة، ليسير عليها المسلمون، ويلتزموا بتطبيقها، والعمل بمقتضاها.

ومن هذه القواعد إخوتي، أنه لا يجوز للمسلم أن يؤذي أخاه المسلم بأي نوع من أنواع الإيذاء، ففي الذكر الحكيم:{ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ } [الأحزاب: ٥٨].

ويقول رسول الهدى ﷺ :﴿يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم﴾، رواه الترمذي.

أيها الأعزاء، قد حذر ديننا الحنيف من الجلوس على الطرقات لغير حاجة، يقول ﷺ :﴿إياكم والجلوس في الطرقات﴾، فقالوا: يا رسول الله، مالنا من مجالسنا بدّ، نتحدث فيها، فقال:﴿إذا أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه﴾، قالوا: وما حقه يا رسول الله؟ قال:﴿غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر﴾، رواه البخاري.

الله أكبر، يضع هذا الحديث النبوي الشريف بين أيدينا آدابًا يجب مراعاتها في طرقاتنا، فإذا ما مشى المسلم في الطريق، فإنه ينبغي ألاّ يتبختر في مشيته، ولا يختال، ولا يتكبر، وأن يغض بصره، وألاّ يؤذي أحدًا من الناس، ولا يضايقهم، يقول الحق جلا وعلا وتقدس:{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } [لقمان: ١٨].

ويقول سبحانه:{ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾} [الفرقان: ٦٣].

ولذا ينبغي أن نغض من أبصارنا، ولك أخي أن تقرأ:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ } [النور: ٣٠ - ٣١].

ففي الآية يا أخي الحبيب، ويا أختي الفاضلة، إشارة إلى ضرورة غض البصر، وإلى أنه لا يجوز خدش الحياء العام في الطريق، فهلاّ راعينا ذلك؟

كما ينبغي على المسلم أن يكف الأذى عن الطريق ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فلا يلقي بالنفايات في الطرق، ولا يسيء إلى طريق المسلمين، ولا إلى ظلهم الذي يجلسون فيه، لما في ذلك من إيذاء

وقلة احتشام، وخدش للحياء المجتمعي العام، فعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:﴿**من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم**﴾، رواه الطبراني، وقال: حديث حسن صحيح.

أيها القارئ الكريم، إن الأصل في المسلم أن لا يمتنع عن الإساءة إلى الطريق فحسب، بل الأصل فيه أن يميط الأذى عن الطريق، فإن رأى حجرًا، أو شجرًا، أو شوكًا، أو أي شيء يتأذى من وجوده الناس، فعليه إماطته، وله الأجر والثواب عند الله تعالى، ففي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:﴿**نزع رجل لم يعمل خيرًا قط، غصن شوك عن الطريق، إما كان في شجرة فنزعه وألقاه، وإما كان موضوعًا فأماطه فشكر الله له فأدخله الجنة**﴾، رواه أبو داود.

فوا عجبًا والله، بعض الناس يؤجر بسبب الطريق، يميط الأذى عنها، وبعضهم يأثم بسببها، يلقي الأذى فيها، وشتان شتان بين البَعْضَيْنِ.

كما إن من حق الطريق: إرشاد الضال، وهداية المحتار، ومساعدة المحتاج، وإفشاء السلام وردّه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فيا مُريد الأجر والثواب، لا لإيذاء الطريق، لا لتضييق الطريق، لا لانتهاك حرمة الطريق، واحذر من قول حبيبك ﷺ :﴿**إن من ضيّق منزلاً أو قطع طريقًا فلا جهاد له**﴾، رواه أبو داود أيضًا.

يا شباب الإسلام، ثمة ظاهرة أخرى تعم طرقاتنا، وتعج بها شوارعنا، هي تلك المتمثلة في رمي أعقاب السجائر، ومخلفات التدخين، من علبة، وكبريت، وغير ذلك.

فقف وقفة مع الطريق، وقل: لا لهذا التصرف غير المسؤول،

ولا لهذا الفعل القبيح، فالمسلم يتميز بأخلاقه النبيلة، وسجاياه الكريمة، وسلوكه الحميد، ولا ينبغي أن يصدر تصرف كهذا ممن ينتسب لدين الله الإسلام، الذي يحث على مكارم الأخلاق.

واحذر أيها الأخ المبارك، ويا أيتها الأخت المباركة، احذروا من عبارات السب والشتم، فالمسلم مسئول عن كل ما يصدر عنه من قول: {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾} [ق: ١٨].

فكذلك لا يجوز إلحاق الفساد بالطريق، كالحفر، والتخريب، وطمس المعالم، والعبث بقواعد السير، وإشارات المرور، لما قد يترتب على من ذلك من خطر عظيم.

حفظني الله وإياكم على الطرقات وفيها، ورزقني وإياكم الالتزام بحقوق الطريق وآدابها، درءًا للمفاسد، وجلبًا للمنافع، وإسهامًا منا في تحقيق الصالح العام لعموم الناس، إنه هو الرحيم الرحمن.

* * *

وقفة: مع اللّسان

ما أكثر هم الذين يُجهدون أنفسهم في الطاعات، والأعمال الصالحات، ويبتغون بذلك الأجر والثواب، من عند الحي القيوم.

إلا إنهم يطلقون لألسنتهم العنان، فيقعون في الأخطاء والآفات اللسانية، ويحسبون ذلك من الأمور الهينة، وهو عند الله من عظائم الأمور.

إن كل إنسان منا مسؤول عن تصرفات جوارحه، فعليه كبح جماحها، وصونها من كل ما يرديها، قال تعالى:{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا } [الإسراء: ٣٦].

إن أعظم الجوارح مسؤولية أيها الأحبة في الله، ذلك اللسان، فهو أشد الجوارح خطورة، وأكثرها أكلاً للحسنات، وأجرأ الجوارح على المعاصي.

ولذا فقد وكّل الله تعالى باللسان ملَكين، أحدهما يسجل الحسنات، والآخر لتسجيل السيئات، ففي القرآن الكريم:{إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾} [ق: ١٧، ١٨].

وعليه، فإن المرء بأصغريه، قلبه ولسانه، واللسان دليل على القلب، ويعرف بموجب اللسان خبايا النفس ودقائقها.

فيا أخي، إما هذه أو تلك، فإما أن تستخدم لسانك في الخير وبالخير، فيكون من الألسن الطيبة، وإما أن تستخدمه في الشر، فيكون - وأسأل الله ألا يكون لساني ولسانك من هذا الصنف -، فيكون من الألسن الخبيثة التي لا يتقي الله أصحابها، ولا يخشى الله أربابها.

يا عبد الله، إما كلمة من رضوان الله، فيرفعك بها الله تعالى

الدرجات، وإما كلمة من سخط الله، يقول الله تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾} [إبراهيم: ٢٤ - ٢٦].

وفي الحديث:﴿**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**﴾، رواه البخاري.

وقد سأل معاذ بن جبل رضي الله عنه رسول الله ﷺ ، بعد أن قال له النبي ﷺ وهو يعلمه وينصحه:﴿**كفّ عليك هذا**﴾، فقال معاذ: أنؤاخذ بما نقول؟ فقال ﷺ :﴿**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يَكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**﴾، رواه البيهقي.

فيا أيها المسلم:

احفظ لسانك أيها الإنسان ::: ليلذغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ::: كانت تهاب لقاءه الأقران

إن المؤمن الصادق، لا يسمح للسانه أن يكون بذيئًا، فيتركه يصول ويجول في محارم الله، فيتنقل بين الغيبة، والنميمة، والكذب، والزور، والبهتان،...

المؤمن الصادق يا أحبتي، يعي جيدًا خطورة لسانه، وأن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وأن المسلم الحقيقي، هو من سلم المسلمون من لسانه ويده.

فهيا أيها الفضلاء، نمسك بألسنتنا، فنلوكها كي ترجع إلى ربها، ولنا في ابن الخطاب رضي الله عنه مثلاً أعلى، فلقد كان يمسك بلسانه ويقول: (هذا أوردني المهالك).

بسبب الألسن الخبيثة، انتشرت العداوة والبغضاء بين الناس، وبسبب تلك الألسن فرقت أسر، وطلقت نساء، وهدمت بيوت، والله المستعان.

فيا أخي، أوصيك إيصاء امرئ لك ناصحٍ، وأرشدك إلى قول الشافعي رحمه الله:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ ::: فكلك عورات وللناس ألسنُ

فالحذر الحذر أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، الحذر من آفات اللسان، وحتى يصون المسلم نفسه، ومجتمعه، وأمته بأسرها، من الفتنة والفرقة والهلاك، وامتثلوا قول ربكم:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾} [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

اللهم ارزقنا لسانًا ذاكرًا يا رب العالمين، واجعل مأوانا الفردوس الأعلى، يا رب العرش العظيم.

* * *

وقفة: مع سلامة الصدر

هي من أعظم الخلال، وأشرف الخصال، ثم هي من بعد خُلة لا يقوى عليها إلاّ الأفاضل من الرجال، هي أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، هي سلامة الصدر، سلامته من كل غلٍ وحسد وبغضاء، وحقد وكره للمسلمين.

ولقد كان الرسول ﷺ أحرص الناس على سلامة قلبه، فكان يقول في صلاته: **«اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم»**، أخرجه النسائي عن شداد بن أوس.

وعند أبي داود، كان يقول ﷺ فيما رواه عنه ابن مسعود: **«لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحدٍ شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»**.

فيا لله أيها الأحبة، إن سلامة الصدر ونقاءه مفتاح المجتمع المتماسك، الذي لا تهزه العواصف، ولا تؤثر فيه الفتن.

وكيف يا تُرى يكون مجتمع تسوده الدسائس والفتن، وتمتلئ قلوب أفراده غشاً، وحقداً، وحسداً، وبغضاً، وكرهاً وتنافراً وأمراضاً؟ أفذاك مجتمع أم غابة وحوش وذئاب؟

وأين هو أمل المسلمين عندما يتوجهون إلى الله جل وعلا وتقدس: {وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ} [الحشر: ١٠].

أخي الحبيب، أختي العزيزة، قرأت في سيرة المصطفى ﷺ موقفين عظيمين يستحقان التأمل والتبصر.

الأول منهما: في غزوة الأحزاب، حين أحكم الأعداء قبضتهم،

وأحاطوا بالمدينة، ونقضت قريظة عهدها، ولم يكن يحول بينها وبين المسلمين شيء، وكان الأمر كما قال الله: {إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب: ١٠ - ١١].

في ذلك اليوم العصيب، خرج الرسول ﷺ ، وبطنه معصوباً، وهو منطلق الوجه، فأخذ المعول وقال: «بسم الله»، وضرب حجرة في الخندق ضربة، وقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة»، ثم ضرب الثانية فقال: «الله أكبر، أعطيت فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الآن»، ثم ضرب الثالثة فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني».

وقد يتساءل متسائل وما علاقة هذا الحديث بوقفتنا هذه؟

ولكن استمع أيها القارئُ الصبور، استمع للموقف الآخر فهو عندما مَرَّ شاس بن قيس، وكان شيخاً قد عتا شديد الحسد للمسلمين، على نفرٍ من صحابة رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، فغاظه ما رأى من أُلفتهم، فأمر فتىً يهودياً أن يجلس معهم، ثم يذكرهم بيوم بُعاثٍ وما تقاولوا فيه من الأشعار ففعل، فتفاخر القوم حتى تواثب رجلان فاختصما، وتعصّب كلٌ لقومه، حتى تواعدوا أن يقتتلوا عند الحرة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج غاضباً، يُعرف الغضب في وجهه حتى جاءهم فقال: «اللهَ الله يا معشر المسلمين، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض، فبكى القوم واصطلحوا»، رواه مسلم.

وبعد هاذين الموقفين يا مسلم، أليس عجيباً أن يخرج الرسول ﷺ راضياً مُتَبَسِّماً في الموقف الأول يوم الخندق، رغم شدة الموقف

وصعوبته، ويغضب في الموقف الثاني كل هذا الغضب لمجرد تواثب حيين من المسلمين، بل يصف ذلك بأنه كفر، وأنه من دعاوى الجاهلية؟

إنه الوحي الإلهي، إنه الدرس النبوي البليغ، إذا كانت القلوب سليمة، والصف واحداً، فليعصف الباطل، وليجلب الكفر بخيله ورجله فإن البناء مَتِين.

أما إذا اختلفت القلوب وذهب صفاؤها، وتمزقت الألفة، وملئت القلوب بالغل، فهذا نذير الشر، وأول البلاء، ويجب حينئذ الوقوف بحزم أمام هذا الداء، وأن نقول بلسان عربي مبين:{وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: ١٠].

سلامة الصدر رحمكم الله، نعمة ربانية، ومنحة إلهية، وفوز عظيم، وجنة عرضها السماوات والأرض، فيا رب يا ربّ:{وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟} [الحشر: ١٠].

سلامة الصدر، من أسباب النصر على العدو، قال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

فائتلاف قلوب المؤمنين من أسباب النصر التي أيد الله بها رسوله، كما قال الإمام القرطبي رحمه الله في كتابه الجامع.

نعم أيها الفضلاء، سلامة الصدر سببٌ في قبول الأعمال، ففي الحديث الصحيح عن المعصوم ﷺ :﴿تعرض الأعمال كل يوم اثنين وخميس، فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: أنظروا هذين حتى يصطلحا﴾.

فانظر أيها المسلم، كم يضيّع على نفسه من الخير من يحمل في

قلبه الأحقاد والضغائن، والله المستعان.

سلامة الصدر، علامة فضل وتشريف، روى ابن ماجة عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ : أي الناس أفضل؟ قال:﴿كل مخموم القلب صدوق اللسان﴾، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ فقال ﷺ :﴿هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد﴾.

بل إن سلامة الصدر صفة من صفات أهل الجنة، إذ أثنى عليهم ربهم بقوله:{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} [الأعراف: ٤٣].

وفي الحديث في وصف أول زمرة تلج الجنة كما أخبر بذلك محمد ﷺ إذ قال:﴿لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد﴾.

فيا أخي الفاضل، سلامة الصدر طريق إلى الجنة، قال عليه الصلاة والسلام:﴿يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة﴾، فطلع رجل من الأنصار تنظف لحيته من الوضوء، تكرر ذلك ثلاث مرات في ثلاثة أيام، فأحب عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يعرف خبيئة هذا الرجل، فبات عنده ثلاثاً فلم يره كثير صلاةٍ ولا صيام، فسأله فقال: (ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجِدُ في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خيرٍ أعطاه الله إياه)، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق.

الله أكبر، أفرأيتم كيف سمت به سلامة صدره حتى بُشّر بالجنة ثلاث مرات، وانظر رعاك الله إلى عظم الأمر، فإذا كان مثل ابن عمرو، وهو من هو، كان جلداً في العبادة يقول: وهي التي لا نطيق، فماذا يقول من دونه، وماذا أقول أنا وأنت؟

إذ ما كانت هذه الكلمة من ابن عمرو تثبيطاً عن هذا الخلق العظيم، وإنما كانت بياناً لعظم منزلته، وحاجته إلى المجاهدة العظيمة.

نعم فالنفوس الكبيرة وحدها هي القادرة على سلامة صدورها، وسعة نَفَسِها.

فيا من رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، حذارِ حذارِ أن يمتلئ منك القلب بالدسائس، بالضغائن، بالأحقاد والفتن، بالغل والغش، بالحقد والحسد، اجعل شعارك قول ربك:﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

قال ابن كثير رحمه الله: (عبر بالغل وهي جامعة لأمراض القلوب كُلها، فيدخل فيها كل خلق ذميم).

أحبتي في الله، النفوس الزّكية هي القادرة على تجاوز الإساءة ومقابلتها بالإحسان، ومن ثم المحافظة على القلب نقياً، والصدر سليماً، ودائماً:﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ [فصلت: ٣٤].

ضُرب الإمام أحمد بن حنبلٍ رحمه الله في زمن المعتصم ضرباً شديداً، فلما كان زمن المتوكل أحس الإمام بأذى في ظهره، فإذا هي لحمة فاسدة التأم عليها الجرح، ولم يكن بد من شق الظهر وإخراجها، قالوا: فلما أحس الإمام بألم الموضع وحر الشقّ قال: (اللهم اغفر للمعتصم).

فيا سبحان الله، يستغفر لمن كان سبباً في ألمه، ويا سبحان الله بدل أن يدعو عليه يدعو له، وصدق الله العظيم،﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠].

إنــه منطــق عظــيم لا تعرفــه القلــوب الضــيقة، ولا الصــدور المريضة، ولا النفوس الصغيرة، ولا ضعاف الإيمان.

وليس ما ذكر خاصاً بالإمام أحمد، فمن قبله كان يوسف عليه السلام مثلاً فذاً في سلامة الصدر، فبعد أن فعل به إخوته ما فعلوا، وبعد أن صار في منزلة يقدر فيها على الانتقام، أي أن يثأر لنفسه، طبق العفو عند المقدرة، وَفَّى لإخوته الكيل ثم قال لهم:{لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ} [يوسف: ٩٢].

لا إله إلا الله، عفا عنهم ثم استغفر لهم، وأعجبُ من هذا أنه التمس لهم العذر فيما فعلوه حين قال كما في القرآن:{مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ} [يوسف: ١٠٠].

ومن قبل ذلك قال هابيل لأخيه وقد هم بقتله وتوعده:{ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨} [المائدة: ٢٨].

والأعظم من ذلك أن محمداً ﷺ في الطائف يُرمى بالحجارة والعصي، حتى تدمي قدمه، ويقال له لو دعوت الله عليهم لانتصر لك فيقول:﴿**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**﴾.

محمد ﷺ يخرجه أهل مكة من مكة، بعد أن ألصقوا به التهم والأكاذيب، بعد أن وصفوه بالشاعر والساحر، فيأتيهم فاتحاً منتصراً، لو أراد تمزيق لحومهم لفعل، لو أراد إسالة دمهم لاستطاع، يقول بسعة صبر، وسلامة صدر:﴿**اذهبوا فأنتم الطلقاء**﴾.

قلــوب اتســعت، وصــدور ســلمت، طَهّــر الله قلــوبهم، ووســع صدورهم، ونزع منها الغل والأحقاد والضغائن، فيا لله كيف هم، ويا أسفاه على صدورنا، وصدق القائل: ولكن صدور الرجال تضيق.

أيها القارئ الكريم، بسلامة صدرك تأمل القصة التالية، فقد حضرت الوفاة أبا دجانة الأنصاري رضي الله عنه وكان وجهه يتهلل، فقيل له ما سبب ذلك؟ فقال: (ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً).

وقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه على طلحة بن عبيد الله، وقد كان بينهما في موقعة الجمل ما كان، فجعل يمسح عن وجهه التراب ويقول: يعز عليَّ يا أبا محمدٍ أن أراك مجندلاً تحت نجوم السماء، ودخل عليه عمران بن طلحة فقال له علي: إني لأرجو أن يجعلني اللهُ وأباك من الذين قال الله فيهم:{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾} [الحجر: ٤٧].

فوا عجباً أخي الكريم، وأختي الفاضلة، إنها قلوب تسامت عن ذاتها، وتعالت عن الغضب لنفسها، فأين مِن هؤلاء مَن يحمل على أخيه لمجرد أنه نسي دعوته إلى وليمة؟

وأين من هؤلاء من يحمل على أخيه لكلمة خرجت من غير قصد فيحملها على الشر وهو يجد لها في الخير محملاً؟

بل أين من هؤلاء من يجعل ذهنه حاسوباً يسجل فيه الأول والتالي، كل صغيرة وكبيرة من هفوات إخوانه، حتى إذا غضب على أحدهم أخرج له قائمة طويلة فيها الحوادث والأرقام والتواريخ، أنت فعلت وفعلتَ وفعلت.

أين من هؤلاء من لا يكاد يصفو قلبه لأحدٍ أبدًا، فهو يحسد هذا، ويحقد على ذاك، ويغضب على الثالث، ويسيء الظن بالرابع، ويتهم الخامس، وقد غش السادس، واحتقر سابع الناس، واسودّ قلبه على الثامن، وظل مخاصماً للتاسع، وما عاشر المسلمين منه بسالم، فالله

المستعان، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال صديق لابن السماك، موعدنا غداً نتعاتب، فقال له ابن السماك: بل موعدنا غداً نتغافر الهفوات فتغفر الذنوب والزلات، وهو جواب يأخذ بمجامع القلوب، فلماذا التعاتب المكفهر بين الإخوة كل منهم يطلب من صاحبه أن يكون معصوماً؟

أليس التغافر وسلامة الصدر أولى وأطهر، وأبرد للقلب؟ أليس جمال الحياة أن تقول لأخيك كلما صافحته: رب اغفر لي ولأخي، ثم تضمر في قلبك أنك قد غفرت له تقصيره تجاهك؟ بلى والله بلى.

فهكذا هم المسلمون، وهكذا هو المجتمع المسلم، صفاء وود، إخاء وحب، قلب سليم، ونفس صافية، وصدر يحتمل الزلات، ويغفر الخطايا، ويمحو بالإحسان الإساءة، ومنطق كمنطق الشاعر الذي يقول:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ::: جاءت محاسنه بألف شفيع

* * *

وقفة: مع الحياء

الحياءُ أيها المسلم، ويا أيتها المسلمة، هو طاعة الله تعالى في كل الأحوال، صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، أفراداً ومجتمعات، أسراً وجماعات.

الحياء يا عبد الله، هو خلق الإسلام الفاضل، الذي ينتهي به المسلم عن المحرمات، ويبتعد به عن قبيح الصفات.

الحياءُ من الله يمنع من التقصير في حق ذي الحق سبحانه وتعالى، ويمنع من التقصير في العبودية، ويمنع النفس عن فعل ما يُعاب، ونهيها عن فعل شيء محرم، مخافة ما يعقبه من ذم ولوم.

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرّ على رجل من الأنصار وهو يعظه في الحياء، أي ينهاه عن كثرة الحياء، فقال رسول الله ﷺ :﴿**دعه فإن الحياء من الإيمان**﴾.

الله أكبر أيها الأحبة في الله، الحياءُ خلّةٌ من خلال الخير، وشعبة من شعب الإيمان، بل هو الخير كلّه، ففي صحيح مسلم رحمه الله، يقول رسول الله ﷺ :﴿**الحياء خير كله**﴾، أو قال:﴿**كله خير**﴾، وكان ﷺ كما أخبر أبو سعيد الخدري رضي الله عنه:﴿**أشد حياء من العذراء في خدرها**﴾، عذراء الأمس لا عذراء اليوم، وإلا فأين هنّ العذراوات اليوم؟ أين المتخلقات بأخلاق خديجة وفاطمة ورقية؟ وأين هي عائشة في النساء،{سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ} [النور: ١٦].

بالحياء أيها الأخ الحبيب، وبالحياء أيتها الأخت الفاضلة تعمر القلوب، ويُستخفى من علام الغيوب، بالحياء لا تُرتكب المعاصي، ولكن إذا ذهب الحياء، صَنع عديمُ الحياء ما يشاء، وفي الحديث:﴿**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**﴾.

أحبتي في الله، من قوي حياؤه صان عِرضُه، وعفّ نفسه، ودفن مساوئه، ونشر محاسنه، من قوي حياؤه صار ذكره عند الناس محموداً، وعند الله مرفوعاً.

أما من ذهب حياؤه فوجب عزاؤه، وذهب سروره، ودفنت محاسنه، وكان عند الناس مهاناً، وعند الله ممقوتاً، نعوذ بالله من الخذلان.

وإذا كان المسلم - وهذا والله اليوم مشاهد - يستحي من الخلق، فلا يكشف لهم عورة، ولا يقصر لهم في حق، ولا ينكرُ لهم معروفاً، يبالغ في طاعة الأمناء والمدراء، ويترك طاعة رافع السماء، فسبحان الله، وفي القرآن الكريم:{ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا } [النساء: ١٠٨].

فأين نحن أمة الإسلام، أين المسلمون من الحياء من الله؟ وأين المسلم الذي يستحي من ربه وخالقه، فلا يقصر في طاعته، ولا في شكر نعمته؟ فالله أحق أن يُستحيا منه، ومن استحي من الله حق الحياء، حفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، وترك زينة الحياة الدنيا، ورجع على نفسه فحاسبها على التقصير، فلا يراه الله حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، فلا يراه في الطّرقات، ولا يفقده في الصلوات.

يقول عمر رضي الله عنه (من استحيا اختفى، ومن اختفى اتقى، ومن اتقى وُقِيَ)، وإذا فُقِد الحياء من الرجل، وإذا فُقِد الحياء من المرء فقل عليه السلام، فقل عليه السلام، وهذا ليس من باب إهداء السلام إليه، وإنما يقيناً بوصول الموت إليه، فقد هبط من الفضيلة إلى الرذيلة، ومن القمة إلى القاع، وهوى في دركات الحماقة، وسقط في

مستنقعات الوقاحة، ولم تزل خطواتُه تقودُه من سيئة إلى أخرى، ومن كبيرة إلى أكبر، حتى يصير بذيئًا حافياً، فيه قبائح الأفعال وسيئ الأقوال، فإن الله عز وجل إذا أراد بعبده هلاكاً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلْقه إلا مقيتاً، فإن كان كذلك نزع منه الأمانة فلم تلقه إلا خائناً، فإذا كان خائناً نزع منه الرحمة فلم تلقه إلا فظاً غليظاً، فإذا كان فظاً غليظاً نزع ربقة الإيمان من عنقه، فإذا نزع ربقة الإيمان من عنقه لم تلقه إلا شيطاناً لعيناً وهكذا، عياذاً بالله عياذاً، ولياذاً بالله لياذاً، والله المستعان، وحذار حذار أيها الموحدُ لله تعالى أن تكون ممن نزع الله الحياء من وجوههم، فتردى مع الرَّدِي، نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

وعند البخاري من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت ".

قال الإمام مالك رحمه الله، والله لو هذا ما قيل في الحياء والأدب لكفت: (إذا لم تستح فاصنع ما شئت).

وإذا ضاع الحياء عانت المجتمعات من المحن، وانتشر فيها الإحن، وتتابعت عليها الفتن، فاستبيحت المحرمات، وارتُكِبَت المنهيات، وعانق الناس الرذيلة، وأقصيت الفضيلة، اجتثت الأخلاق من جذورها بدعوى الحضارة والتمدن، بدعوى التقدم والتطور،{سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٦].

فهل ضُيِّعت الصلوات، وعطلت أحكام الدين، إلا يوم قل الحياء من الله، وابتعد الناس عن تعاليم دينهم؟ وهل وقع في المعصية من وقع، إلا يوم قل حياؤه من الله، فاستهان به سبحانه حتى جعله أهون الناظرين إليه؟

وهل خرجت النساء المسلمات، كاسيات عاريات، بثياب واهية وإن لم تُشِف، وأيم الله تصف، إلا يوم كسرت المسلمة ثيابها، ودفقت ماء حيائها، وضاع من وجهها العفاف، وإذا سألتها قالت إنها الحضارة والتمدن، وإنه التقدم والتطور، فهل تُتّهَم عائشة بالتخلف اليوم، أم هو وصفٌ للزهراء رضي الله عنها، كلا وألف كلا، فو الله ما كنّ إلا من خيرة النساء، ونسأل الله تعالى أن يهدي نساءنا وبناتنا، سواء السبيل.

فيا إخوتي في الله، إن الذي حمل على النزول إلى المستويات الهابطة من الأخلاق والتعامل، هو ذهاب الحياء، وصدق الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، ﷺ حين قال:**﴿إذا لم تستح فاصنع ما شئت﴾**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**﴿الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله – وهذه الأفضل على الإطلاق – وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان﴾**.

ثم اعلم رحمك الله أيها القارئ الكريم أنه إذا كان الحياء محموداً فالوقاحة مذمومة، فإنه لا حياء في الدين، بمعنى أن خلق الحياء في المسلم غير مانعٍ له من قول الحق، أو طلب العلم، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقول أمّنا عائشة رضي الله عنها: (يرحم الله نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتعلمن أمور دينهن).

وقد شفع أسامة بن زيد رضي الله عنهما حبُّ رسول الله ﷺ وابن حبه، في المرأة التي سرقت، فلم يمنع الحياء رسول الله ﷺ أن يقول لأسامة في غضبٍ:**﴿أتشفع في حد من حدود الله؟﴾**.

ولم يمنع الحياء أم سليم رضي الله عنها أن تقول: يا رسول الله،

إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ :﴿نعم، إذا رأت الماء﴾.

إن الحياء الممدوح أيها الفضلاء، هو الذي يكف صاحبه عن الحرام، ويحمله على الطاعة.

أما الحياء الذي يمنع صاحبه من السعي فيما ينفعه دنيا وأخرى، فهو حياء مذموم، وتخذيل من الشيطان، وتلبيسٌ من إبليس، عليه لعائن الله تترا.

فإن كنت أخي الحبيب المبارك، ممن يبتغون الجنة، ويتغايون الفردوس، " أي يجعلونها غاية يعملون من أجل دخولها برحمة الله "، فكن حيِيًّا، وكوني أيتها المسلمة امرأة ذات حياء.

فعلى كل إنسان بدءًا باللحظة، وانتهاءً بألا محدود، لا للوقاحة، ولا للصفاقة، ولا لبرودة الوجه، وبالجملة لا لسيئ الأخلاق، والله ولي التوفيق.

واحرص بارك الله فيك أخي، على خلق الحياء سلوكاً ومنهجاً، تربية وواقعاً، تعليماً وتهذيباً، واقتداءً وتقويماً، واعلم أن الحياء من الأخلاق، ورسولنا ﷺ يقول:﴿إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾.

فاللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، واملأ وجوهنا بالحياء، وقلوبنا بالإيمان واليقين، يا رب العالمين.

* * *

وقفة: مع الرحمة

أيها المسلم الموحّد، هب أن مزارعًا ألقى بذره على صخرة صماء، فهل ينبت من ذلك البذر شيء؟ وما الذي سيحل بتلك البذرات إذا ما نزل ماء السماء؟

لا شك أن الماء سيحملها من على الصخرة، وسيغدو بها بعيدًا دون أن تتحقق الفائدة من رمي البذرات.

أما إذا قام ذلك المزارع بزرع بذراته في أرضٍ خصبة، فحتمًا ستؤتي أكلها بإذن ربها.

تمامًا كما هو شأن القلوب، فإن منها قلوبًا صلبة شديدة، كالحجارة أو أشد قسوة، فكم هي القلوب التي لا تلين للقرآن الكريم إذا يتلى، ولا للأحاديث إذا تروى، ولا للمواعظ حين تلقى.

والعجب كل العجب من قلبٍ أصم، لا يتأثر بقول حكيم، ولا بمنظر مؤلم أو حزين، ولا بمشهدٍ بئيس، فلا يستجيب لدعاء خير، ولا يلبي نداء الواجب أيًا كان نوعه، دينيًا، أو وطنياً، أو اجتماعيًا،....

ومن القلوب ما يفيض حنانًا ورقة، وشفقة ورحمة، ورأفة وإحسانًا، وألفة ومحبة، وثباتًا على الحق، فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

الرحمة يا أيها الأحبة في الله، صفة كريمة، وعاطفة نبيلة، متى سكنت قلب امرئ كان له من الخير الكثير.

الرحمة في القلوب، سبب توفيق الأنبياء والمرسلين في أداء رسالتهم، وحب الناس لهم، فها هو النبي ﷺ رحيم بالناس، عطوف بهم، شفوق عليهم، يقول له ربه:{وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ

﴿١٠٧﴾} [الأنبياء: ١٠٧].

النبي ﷺ ، كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأرحم بهم من والديهم، قال تعالى:{لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾} [التوبة: ١٢٨].

ثم بين له الله رب العالمين، أن الرحمة واللين مهم في الدعوة إلى الله، وإلى اجتذاب الناس، وكسب ودهم، وأن الغلظة وقسوة القلب مدعاة لنفور الناس، وانفضاضهم عنه، قال الله تعالى:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩].

إنها الرحمة أيها الأخ المبارك، متى ما بلغت في قلب المسلم مبلغًا، واستولت على مشاعره وأحاسيسه، وملكت عواطفه ووجدانه، فكفّت يده عن الاعتداء على دماء الناس، وأموالهم، وأعراضهم، لأن رحماء القلوب، أبدًا لا يؤذون غيرهم.

فهلاّ تراحمنا، وهلا امتلأت منا القلوب رحمة وحنانًا، فلا يَلقى المسلم مسلمًا إلا وفي قلبه عطف مذخور، وبر مكنون، فيوسع على المسلمين، ويخفف عنهم، يواسيهم في مصائبهم، ويشاركهم في أفراحهم.

الرجل الرحيم، هو ذلك الرجل، الذي يغيث الملهوف، ويعين المكروب، ويجلب السرور للمحزون، ويقضي حوائج الناس، جعلني الله وإياكم من الرحماء.

إنها الرحمة، نعم إنها رحمة تبعث على مواساة الأيتام، والعطف على الأرامل، والتصدق على الفقراء والمساكين، ومساعدة البؤساء والمضطرين، أفليس حريًا بنا أن نكون من الرحماء؟

بلى والله، فالراحمون يرحمهم الرحمن، ومن لا يرحم لا يُرحم.

فالحذر الحذر أيها الفضلاء، الحذر ألا نكون من أجلاف الناس، الذين خلت قلوبهم من الرحمة فأوصدوها، فلم يواسوا إخوانهم في ألم، ولم يعينوا في مصيبة، ولم تعرف قلوبهم الرقة، فأين هم من الاقتداء بمحمد ﷺ ؟ وألم يكن لهم في رسول الله أسوة حسنة؟ وهو الذي قال عنه ربه:{بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ} [التوبة: ١٢٨].

يقول المصطفى ﷺ :﴿ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم﴾، رواه أحمد.

فأدوا يا إخوتي ما عليكم من حقوقٍ، سواءً كانت لله، أو لعباده، أو لأنفسكم، ولا تكونوا قساة القلوب وعُتاتها، فتصبحوا من الأشقياء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت الصادق المصدوق صاحب هذه الحجرة، أبا القاسم ﷺ يقول:﴿لا تنزع الرحمة إلا من شقي﴾، رواه أبو داود.

ما أحوجنا اليوم إلى الرحمة والتراحم، وما أحوجنا إلى آثار ذلك الجمال الإلهي الباقي في طبائع النفوس الخيّرة، التي عرفت قدر الرحمة فرحمت، فوسعت الناس رحمة وعطفًا، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى الرحمة من أي وقت آخر، في مجتمعنا الإسلامي، وعالمنا الإنساني.

فليّنوا قلوبكم، ورققوا أفئدتكم، وتراحموا فيما بينكم، واستلوا القسوة من قاع قلوبكم، وقفوا وقفة واحدة مع الرحمة، وقولوا معي، اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم آمين.

* * *

وقفة: مع الرفق

ليتني وإياك أيها الأخ الفاضل، ليتنا ممن يتعاملون مع كل الأشياء وكأنها زجاجًا خالصًا، ويحذرون كل الحذر أثناء التعامل مع الزجاج.

فهل خطر ببالك لماذا نعمل ذلك مع الزجاج؟ ولماذا أتمنى أن نتعامل مع كل الأشياء بهذه الطريقة؟

جوابك يا أخي الحبيب: حتى لا ينكسر الزجاج، فنحن نعامله برفق.

وليتنا إذًا ممن يعرفون الرفق في تعاملاتهم كلها، بل وفي كل أمور حياتهم، حيث إنه الرفق يا أخي، ذلك الخلق الجميل، وذلك التصرف اللطيف.

الرفق الرفقَ أيها الأحبة، يقول المصطفى ﷺ: **﴿ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع الرفق من شيء إلا شانه﴾**، رواه مسلم.

فالله أكبر، زينة كل شيء الرفق فيه، وعيب في كل شيء إذا نزع منه الرفق.

فترفّقوا يا إخوتي في كل شيء، ومع كل شيء، فإذا ما اتصف الإنسان بالرفق، جمعت له الخيرات كلها.

الرفق عند البشر، مفتاح كل خير، وبالرفق أيها القارئ الكريم، تستطيع إقناع غيرك، بل تستطيع بالرفق سرقة قلوب الآخرين، واستمالة نفوسهم، وإذهاب غضبهم، فتجعل من قلوبهم القاسية قلوبًا ألين من الدقيق الناعم، ومن نفوسهم المستعصية، إلى نفوسٍ تواقة، تحب الحق وتركن إليه.

فهذا النبي ﷺ ، بالرفق نشر دعوة ربه، وبالرفق أحبه كل من رآه، وبالرفق لانت له قلوبُ المشركين العتاة، فأصبحوا من الصحابة والصحابيات، ويقرر القرآن هذه الحقيقة، قال تعالى:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩].

يا أيها الإخوة في الله، إلزموا الرفق والتزموا به، وكونوا من الرفقاء في شؤونكم كلها، وفي الحديث:《الرفق كله خير》، أو《الرفق خير كله》.

وخل نفسك أيها المسلم، خل نفسك خشنًا في تصرفاتك كلها، فحينها كيف ستعيش؟ وكيف ستتعامل مع ما حولك؟

فعليك بالرفق يا عبد الله، عليك بالرفق قولاً وعملاً، فرفق القول، يجنبك الإساءة للآخرين، فلا تجرح لهم شعورًا، ولا تخدش لهم حياءً، بل سيلقون منك المودة والمحبة، لأنك كنت رفيقًا بهم ورفيقًا معهم.

ورفق العمل، يجنبك كسر أدواتك، ويجنبك إضرار نفسك، فالرفق خير كله، وكله خير.

فهيا أحبتي لا للخشونة، ونعم لليُونة، لا للفظاظة، ونعم للرحمة واللين، نعم لاستمالة الخلق والتودد إليهم، فمثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

ولله در القائل:

ترفق أيها القمر المنير ::: ولا تك كالرياح لها زئيرُ
فإنك بالسناء ملأت وجهي ::: ووجهك في دياجينا نضيرُ
وتلك الريح هاجت في عتوٍّ ::: فزُلزلت المنازلُ والقصورُ

وها هو النبي ﷺ ، يشبه المؤمن بالنحلة في رفقها، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: ﴿**المؤمن كالنحلة، تأكل طيبًا وتضع طيبًا، وإذا وقعت على عود لم تكسره**﴾، رواه النسائي.

بعد هذه الوقفة مع الرفق، أفليس حريًا بنا أن نلتزم الرفق ما حيينا؟ بلى والله بلى، ونسأل الله أن يُعيننا على ذلك، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو على كل شيء قدير.

* * *

وقفة: مع الصبر

بطبيعتها لا تخلو من الهموم والمصائب، وبها الكثير من الآلام والمتاعب، بؤسها وشقاؤها كثير، والإنسان في كنفها لا بد له من أمرٍ يعينه على ما يُبتلى به فيها.

تلك هي الحياة، والصبر يا أخي، هو ما يعين على تخفيف الآلام، وتهوين المصائب، وتيسير الصعاب، فيلتقي الصبر بأقدار الله تعالى، فيخفف من شدتها وحدتها.

لذلك دعا الإسلام إلى خلق الصبر، وحث على التحلي به، قال تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [البقرة: ١٥٣].

الصبر خلق الأنبياء، ومن سماتهم، وهو صفة للصالحين، وقد أمر الله نبيه بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، فقال عز اسمه:{فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ} [الأحقاف: ٣٥].

فالصبر يا عبد الله الصبر، فهل ينتصر المنتصر إلا بالصبر، وهل يكتسب الإنسان الشجاعة إلا بالصبر، وهل يكابد المسلم المرض ويقاومه لو لم يكن صبورًا؟

النصر صبر ساعة، والصبر ضياء ونور، وشيمة الأنبياء الصبر عند البلاء، فقد روى مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً؟ فقال:﴿**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء في العبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**﴾، رواه البخاري.

يا أخي اصبر، وكن من الصابرين، والحق بركبهم، فهم الأنبياء والمرسلون، والصحابة والتابعون، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فلقد صبر نوح عليه السلام، وكذلك الخليل إبراهيم، وإسماعيل وإسحاق، وصبر يوسف، وكان موسى وهارون من الصابرين، وكذا يحي وزكريا، وجميع الأنبياء، وقال الله عنهم:{كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ} [الأنبياء: ٨٥].

أما خاتم الأنبياء وإمامهم، سيد الخلق محمد ﷺ ، فقد كان مثالاً ساطعًا للصبر على أذى قومه، كذبوه وهو الصادق الأمين فصبر، أوذي في سبيل الله وهو ساجد في بيت الله فصبر، وصبر يوم أدميت قدماه من حجارة سفهاء الطائف وصبيانهم، صبر واحتسب ذلك عند الله تعالى، ولم يزده حالهم إلا شفقة عليهم، ودعاءً لهم بقوله:﴿**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**﴾.

ولم يكتف الحبيب ﷺ بصبره فحسب، بل علم أتباعه الصبر، وجعله ضياءً لهم في حياتهم، قال صلوات ربي وسلامه عليه:﴿**الصبر ضياء**﴾، رواه مسلم.

فكان الصبر لهم نوراً يضيء لهم ولكل مسلم الطريق، فيعصمه من التخبط، ويقيه من القنوط، ويجعله يوطن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر، وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، فكانت ثمار الصبر يانعة في حياة المسلمين، من صحابة وتابعين، ومن جاء بعدهم واتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أيها القارئ الكريم، إن الصبر ليس كلمات تقال، وإنما الصبر حقيقة نؤمن بها إذا ما علمنا أن الحياة الدنيا دار تمحيص وابتلاء وامتحان، فما يخرج الإنسان من امتحان إلا ليدخل آخر، فالابتلاء

من سنن الحياة، قال تعالى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

فاتقوا الله أيها الأعزاء، وتوبوا إليه، واعلموا أن الحياة مجال كفاح وجهاد، وميدان جد ومصابرة، واعلموا أن النصر مع الصبر، وأن الصبر أول القوى التي يعد بها المجاهدون في سبيل الله أنفسهم، للحصول على أقصى درجات الخير والفلاح:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [آل عمران: ٢٠٠].

فكن يا عبد الله على أحكام ربك صابرًا، وبقضائه وقدره راضيًا، وفي رحاب ابتلائه ثابتًا:{إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [البقرة: ١٥٣]، وأيضًا:{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ } [آل عمران: ١٤٦].

نسأل الله أن يجعلنا من الصابرين، الذين اعتصموا بربهم، واستجابوا لأوامره، واستسلموا لقضائه وقدره، فوفّاهم أجرهم،{إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر: ١٠].

* * *

وقفة: مع النفاق

قضية من أعوص القضايا، إنّها قضية خافها الأنبياء، وخافها الصالحون، وخافها الأتقياء، إنّها قضية عظيمة بكَى منها السلف، بكَى منها السلف وسالت منها الدموع، وتفطّرت من أجلها الأقدام.

ذكرها الله جلّ وعلا في القرآن الكريم، بل وأفرد لها سورةً كاملة، إنها سورة الفاضحة، إنها سورة المنافقين.

إنها قضية النفاق، ونعوذ بالله منه، النفاق الذي إذا جاء إلى القلب جعله مربداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه.

إنّه النفاق الذي خافه النبي ﷺ ، وتعوذ منه، وخافه أبو بكرٍ رضي الله عنه حينما قابله حنظلة، فقال: إنّي أشكو النفاق، فقالَ الصديق: إني أشكو ما تشكو منه يا حنظلة، هيا بنا إلى المصطفى ﷺ

.

وهذا عمرُ بنُ الخطاب، فاروق الأمة، يشكو من النفاق رضي الله عنه وأرضاه، فيقول: أسألك بالله يا حذيفة، هل عدّني ﷺ من المنافقين؟

النفاق يا أحبتي في الله، لا يأمَنُه إلاّ المنافقون، ولا يخافُه إلا أهلُ الإيمان والصالحون، جعلنا الله تعالى ممن يخافون النفاق.

فما هو النفاق أيّها المسلمون؟ هناك نفاقٌ اعتقادي مكفّر، كما قال الله سبحانه وتعالى، يصفُ أصحابَ هذا النوع من النفاق:{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾} [البقرة: ٨ - ١٠].

ونفاق آخر، هو النّفاق العملي، النّفاق المنتشر بين ظهراني رجال الأمة، الذي أخبر عنه ﷺ ، كما في الصحيحين، فقال:﴿آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلَف، وإذا أؤتُمن خان﴾.

وهيّا بنا وإياكم لنستعرض بعض صور النّفاق، وبعض صفات المنافقين، لنحذرها أشد الحذر، فيا ويل المنافقين، ويا ويل من ازدوجت شخصيتهم، فأصبحوا على طريقتين، ويا ويل المتذبذبين، الذين ليسوا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

إنّ أخطر النّفاق، أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الكريمة، يوم أن يضمر الإنسانُ شيئاً ويبدي للناس بطلاوة وبحلاوة اللسان، وببشاشة الكلمات، وبتجميع العبارات، وبزخرفة الجُمَل واللفظات.

إنّ المنفاقين يوم أن يتكلمون بكلمات، ولكنّهم يضمرون السمّ الزعاف، الذي يضعونه في هذا الدسم، نعم:{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾} [البقرة: ٨ - ٩].

أنت من أنت يا عبد الله، أنت من أنت حتى تخادع الله، أنت ضعيف ومسكين، تُدمِيك البقة، وتموت من الشرْقة، وتحمل في جوفِك العَذِرة، أنت من أنت يا ضعيف العزم، يا صغير الهيئة، يا ضعيف الحمل، يا ضعيف البنية، حتى تخادع قيوم السماوات والأرضين: {يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾} [البقرة: ٩، ١٠].

وإنّ من أعظم علامات المنافقين، أن يفسدوا في الأرض، ويفسدوا في المجتمع، ويفسدوا كل شيء في هذه الدنيا، ويقولون:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾}

[البقرة: ١١].

فالله جلّ جلالهُ يقرر هذه المسألة، فيقول:{أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا} [البقرة: ١٣ - ١٤].

إذا جاءوا في المجالس، وإذا حضروا في الأفراح والمآتم:{وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤} [البقرة: ١٤].

فالله جلّ جلاله، الجبّار يردُّ عليهم:{ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١٥} [البقرة: ١٥].

الله تعالى، يعطيهم الأعمار، ويعطيهم الصحة، ويعطيهم المال، ثم لا يتوبون ولا هم يذّكّرون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومن صفات المنافقين أيضاً، يا أيها القارئ الكريم لنحذرها، ونبتعد عنها، أنهم يُصلّون، وهذه حقيقة قررها الله في القرآن الكريم، فقال:{وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ} [النساء: ١٤٢].

إنّ المنافقين، واللّهم اجعلنا ممن طهُر قلبُه من النفاق، إنّ المنافقين لا يصلّون إلا وهم كسالى، ليس ديدنُهم قول محمد ﷺ الذي يقولُ:《**أرحنا بالصلاة يا بلال**》، رواه أبو داود.

وليس شأنهم شأن عمرَ الذي يقول: (لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة).

وليس ديدنُهم أئمة السلف، يقول ابنُ المسيَّب: (والله ما أُذّن أربعين سنة إلاّ وأنا في المسجد)، وليس ديدنُهم ابنُ مهران الأعمش سليمان، بكت عندهُ ابنته وهو في الموت، فيقول: (ابكي أو لا تبكي، والله ما فاتتني تكبيرةُ الإحرام مع الإمام ستّون سنة).

لا إله إلا الله، هذا هو الإيمان، أما النّفاق، وأهلُ النّفاق، وأهل

القلوب المريضة، فيأتون إلى الصلاة ولكنّهم لا يأتونها إلا كسالى، ولا ينفقون إلا وهم كارهون.

ومن صفاتهم أنّهم يراؤون الناس، وفي الحديث الصحيح، يقول ﷺ :﴿من راءى راءَى الله به، ومن سمّع سمَّع اللهُ به﴾، أخرجه البخاري.

فالرياءُ شركٌ أصغر، الرياء أنْ ترضي الناس وتنسَى رب الناس، يتنسّكون ويقفون مع المصلين، ويذكرون الله مع الذاكرين، ولكنهم يراءون الناس، هذه حقيقة قررها الله عن النفاق وأهل النفاق، ما يريدون وجه الله، وما يريدون إرضاء الله، ما يريدُون متابعةَ المعصومِ ﷺ.

ومن صفاتهم التي بينها الله:{إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾} [النساء: ١٤٢].

فدائماً ألسنتهم تقدَحُ في العلماء وفي المخلصين، أمّا أن تلهج بـ لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أمّا أن تكون رطبة من ذكر الله تعالى فهذا ليس من ديدنة المنافقين.

فاحذروا أيها الإخوة صفات المنافقين، فأهل الإيمان يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.

إنّ أهل الإيمان دائماً تلهج ألسنتهم بـ لا إله إلا الله، بذكر الله، دائماً يحبون ذكر الله، دائماً يحبون المجالس التي يُذكر فيها محمدٌ ﷺ، أمّا أهل النفاق، فلا يذكرون الله إلا قليلاً.

ومن صفاتهم، نعوذ بالله منها، ومن التخلّق بها، أنهم ليسوا مع الصالحين، وليسوا مع المشركين والكافرين، يعيشون مع أولائك وأولائك، لماذا؟

لأنّ لهم مآرب أخرى، لأنّ قلوبهم سوداء، لأنّ قلوبهم جوفاء، لأنّهم ما تعلقت قلوبهم بالرحمن جلّ وعلا.

ومن صفات المنافقين أيضاً، وكلُّها مستقاةٌ من القرآن، ومن السنّة الصحيحة، السخرية والاستهزاء بالصالحين، كما قال الله جلّ وعلا: {قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ } [التوبة: ٦٥].

جلس أحدهم لأصحاب المصطفى ﷺ وقال: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغبُ بطوناً وأجبن عند اللقاء، من يَقْصِد؟

كَبُرَت كلمةً تخرجُ من أفواههم، أفي صحابة رسول الله ﷺ هذا؟

إن يقولون إلا كذباً، إن يقولون إلا كذباً، أأصحاب النبيّ ﷺ ، الذين تقطعت رقابهُم، وتمزقت أشلاؤهم، وسقوها بدمائهم، أهؤلاء هم أجبن عند اللقاء؟

منهم من قال: فزتُ بها وربّ الكعبة، ومنهم من قال: وعجلتُ إليك ربّ لترضي، ومنهم من قال: واهٍ لريح الجنة أسعد، ومنهم من قال: ما على الغنائم بايعتُك، بايعتُك على السهام يا رسول الله.

ومنهم من قال: اللهم ارزقني الشهادة مقبلاً غير مدبر، وغيره قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ::: علي أي جنبٍ كان في الله مصرعي

نعم، إنّ النفاق وأهل النفاق يقولون هذا الكلام قديماً وحديثاً، يقولونه عن الصالحين.

فينزل الله قرآناً يُتلَى إلى قيام الساعة، يقول الله:{قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ } [التوبة: ٦٥].

وفي زماننا يا أيها الفضلاء، ما أكثر الذين يستهزؤون بالعلماء، ما أكثر الذين يستهزؤون بأهل المساجد، ما أكثر الذين يستهزؤون

بأتباع السّنّة.

إنّهم الذين مرضت قلوبهم، لا خلاق لهم، نعوذ بالله من ذلك، وها هو الحي القيوم يرد عليهم، فيقول:{قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ} [التوبة: ٦٥، ٦٦].

ومن صفات المنافقين أنهم يحلفون، كثيرو الحلف، نعم والله يقرر هذا فيقول في سورة المنافقين:{ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً} [المجادلة: ١٦]، يتّخذون اليمين وقاية من كذبهم، ولعبهم، وروغانهم، وترويجهم.

إنّهم يكثرون من الحلف، والله يعلم إنهم لكاذبون:{ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ} [المجادلة: ١٩].

يا أخي الكريم، ويا أخت الكريمة:{وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ} [يوسف: ٥٣]، لابُدَّ أن نخاف النفاق، كلنا معنيٌّ بهذا الكلام، فإمَّا والله سيكون هذا الكلام إمّا حجةً لنا يوم القيامة، أو حجةً علينا، و الناس في النفاق، فيه مُقِلٌّ ومستكثر، نسأل الله العفو والعافية.

ومن صفات المنافقين أنّهم إذا أنفقوا، ينفقون وهم كارهون، ومن صفاتهم أنهم يرجفون، والإرجاف هو تغييرُ الحقائق، وقلبُ المواضيعُ، قال البارئ جلّ وعلا:{لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾} [الأحزاب: ٦٠].

المنافقون كالذباب، لا يقع إلا على الجرح، فيكبّرون الصغائر، ويصغرون الكبائر، إنّهم أولائك المرجفون، ومن صفاتهم البخل، وعليّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه يصرخ قائلاً: (لستُ أرى أشقَى من البخيل بالمال يشقى في الحياة بجمعه، ويعاقب يوم القيامة على منعه).

في الدنيا يعيش المنافق عيش الفقراء، وفي القيامة يحاسبُ حساب الأغنياء:{فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ } [التوبة: ٧٦ - ٧٧]، هذه صفاتهم بخلٌ صراح.

ومن صفات المنافقين أيضاً: مخالفةُ الظاهر للباطن، وفي مطلع سورة المنافقين:{قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ } [المنافقون: ١]، ويقولون ذلك للنبيّ وهم يبطنون خلافه، وفي الناس مثل هذا كثيرٌ، يجاملون باللسان، ويتمنون بالقلب قطع الرقاب بالسنان، وما خفي كان أعظم، وصفات المنافقين كثيرة كثيرة، ولكن المقام والوقت لا يتسع.

فوقفة يا أخي تحذر بها النفاق، وصفات المنافقين، وتُخلص ظاهرًا وباطنًا لله رب العالمين، وأسأل الله لي ولك ولسائر المؤمنين، قلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، ودعاءً مستجابًا، ونفسًا مطمئنة، بمنّه وكرمه، اللهم آمين، آمينَ، آمين.

* * *

وقفة: مع الظلم

هو دليل قسوة القلب، ودليل غلظته، ويعمل على إشاعة الفساد في الأرض، والانحلال بين الخلق، ويعمل على تفكك المجتمع، ويزرع عدم الثقة بين الناس، فلا يثق حميمٌ في حميمه، ولا أحدٌ من الخلق في غيره.

آثاره سيئة، وعاقبته وخيمة، ونتائجه سلبية، فهو تجاوزٌ للحد المشروع، أو وضعٌ للشيء في غير موضعه، ولذا سمّي ظُلمًا.

ومن هنا كان تحريمه، وجاءت محاربة الإسلام للظلم، والتحذير من الظَّلَمة، وفي الحديث القدسي، يقول الله تعالى:《**يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**》، رواه مسلم.

ولك أن تتساءل أيها القارئ الكريم، من ذا الذي يحرم على الله تعالى؟ إنه الله وحده من يحرم على نفسه، ويحرم على خلقه، وقد حرمّ الظلم، فالظلم ظلمات يوم القيامة.

فهيا يا عباد الله الفضلاء، ولنستعرض بعضًا من صور الظلم، وإلا فإن صوره كثيرة، ومجالاته متعددة، ولكن، حيث ما وُجد الظلم فقد ثبت التحريم، إذن فلا تظالموا.

إن أشد أنواع الظلم خطورة، هو ذلكم المُحبط للأعمال الصالحة، ألا وهو الشرك بالله تعالى، والعياذ بالله.

وقد بين الله تعالى عقاب الظالمين المشركين، فقال جل جلاله:{إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا} [الكهف: ٢٩].

أما الذين آمنوا بالله، ولم يشوبوا إيمانهم بالظلم، فلهم الأمن يوم الفزع الأكبر، يقول الله سبحانه:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ

أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾} [الأنعام: ٨٢].

وعندما نزلت هذه الآية الكريم، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: {يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣]».

فيا مسلمون، حقًا وصدقًا، إن الشرك بالله لظلم عظيم، فهو توجه بالعبادة لغير مُستحقها، حيث إن المشرك أدى ما أداه لغير وجه الله، وما أقبح أن يجعل المرء لله شريكًا، والله خالقُه، والله رازقه، والله مُحييه، والله مُميته، فسبحان ربي العظيم.

ويكون الظلم من أولائك الحمقى، الذين إذا ذكّروا بآيات ربهم كذبوا بها، وأعرضوا عنها، يقول العزيز العليم: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} [الكهف: ٥٧].

كما وأن من صور الظلم، ونعوذ بالله منه، ما يكون من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، فالمسلم أخ المسلم، لا يظلمه، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم.

ولله در القائل:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا ::: فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ::: يدعو عليك وعين الله لم تنم

ومن صور الظلم الرشوة، والسرقة، والغصب، وأكل مال اليتامى ظلمًا، ومن الظلم أكل الربا.

من الظلم غصب الأرض، وعدم العدل في الإرث، وتوزيع الميراث وفق ما حدده الله جل وعلا، كأن يحرم أنثى، أو يفضل ذكرًا.

وكذلك الظلم في القضاء بين الناس، وشهادة الزور ظلم، والتكبر

على عباد الله، والسخرية من الآخرين، والكذب، والافتراء على خلق الله، والحسد، والكيد، والمساواة بين المجد والمُهمل، فكل ذلك من الظلم.

فيا أيها الأحبة، من فعل واحدة من هاتيك الأفعال، أو غيرها مما خالف فيه الله، وخالف فيه رسول الله ﷺ ، فهو ظالم لنفسه، ولمجتمعه، ولأمته: قال تعالى:{وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ} [الطلاق: ١]، وفي آية أخرى:{وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [البقرة: ٢٢٩].

ومن رحمة الله تعالى بالناس، أن ترك باب التوبة مفتوحًا أمام الظالمين، وترك لهم متسعًا من الوقت عسى أن يتوبوا، ولم ينزل بهم عذابه حال ظلمهم وتعدّيهم، فقال عز من قائل:{ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى} [النحل: ٦١]، وقال أيضًا:{ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ} [المائدة: ٣٩].

فبادر أخي بالتوبة، وعجل الحوبة، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل، وتحلل من كل المظالم، واحذر أن تموت ظالماً، فإن الظالمين لا يعذرون، ولا يقبل منهم فيفتدون،{ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢} [غافر: ٥٢]، وتذكر يوم يقوم الناس لرب العالمين، في ذلك اليوم،{ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧} [الزمر: ٤٧].

فيا أخي الحبيب، ويا أختي الفاضلة، هاهو باب التوبة مفتوح، وقوافل التائبين تغدو وتروح، فالبدار البدار إلى توبة نصوح، قبل أن تغرغر الروح، قبل أن يأتي يوم لا يَنفعُ نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا.

فاللهم حبب إلينا العدل في الأمور كلها، واجعلنا من المُقسطين، ونعوذ بك يا رب من دعوة المظلومين، اللهم آمين.

---

* * *

وقفة: مع المظلوم

لسنا وحدنا أيها الحبيب، نعم لسنا وحدنا من يقف وقفة مع المظلوم ليواسيه، ولسنا وحدنا من يضمّدُ جراح المظلومين، فالله تعالى بجلال قدره وعظيم سلطانه، يقف مع المظلوم، فيرفع الظلم عنه، ويستجيبُ دعوته، وينتقم له من ظَالِميه، والله عزيز ذو انتقام.

وتأمل معي رحمك الله ما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن وأوصاه، قال له في آخر وصيته:﴿**واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**﴾، الله أكبر، جعل دعوة المظلوم ليس بينها وبينه حجاب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:﴿**ثلاثُ دعوات مستجابات لاشك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم**﴾، رواه الترمذي.

وقد تحقق هذا الوعد الإلهي عبر التأريخ، فما ظلم ظالم إلا لُعن وخاب، وما دعا مظلوم إلا كان دعاؤه مستجاب، وأتاه النصر من رب الأرباب.

فهذا فرعونُ، وما أدراك ما فرعون، الذي بلغ من الطغيان والجبروت والظلم ما بلغ، ظَلَم وتكَبَّر، وطغى وتجبر، حتى بلغ ما قاله الله جل وعلا:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى} [القصص: ٣٨]، أفليس هذا ظلم وبغي؟ إي وربي ظلم وبغي وعدوان.

ولكن ما هي النتيجة، يقومُ موسى عليه السلام، فيرفَعُ يديه إلى ناصرِ المظلومين، إلى ربّ العالمين:{رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ

زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ} [يونس: ٨٨].

فيعقب الله ذلك بقوله:{قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾} [يونس: ٨٩].

ولنعش يا أخي لحظاتٍ مع صفوة الخلق، رسول الله ﷺ ، إذ كان ذات يوم ساجداً عند الكعبة، وكان بقربه جماعة من كفار قريش، فيقول بعضهم لبعض، أيكم يقوم إلى سلى جزور بني فلانٍ فيلقيه على ظهر محمد؟

بأبي أنت وأمي وروحي يا رسول الله، فيقوم عقبة بن أبي مُعيط، ويأخذ السلى ويلقيه على ظهر النبي ﷺ .

تنزّه ظهرك وجسدُك يا رسول الله، ويبقى النبي ﷺ ساجداً، والقصة في الصحيحين، ويبقى ساجداً حتى تأتي ابنتُه وتأخذ السلى من على ظهره وهي تبكي، ثم تُقبل على المشركين تسبّهم، فيقوم النبي ﷺ قرب الكعبة ويرفع يديه ويقول:《**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بفلان، اللهم عليك بفلان**》، ويعدّ سبعة من صناديد المشركين.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فو الله، لقد رأيتُهم صرعى يوم بدر، ثم سُحبوا إلى قليب بئر فألقوا فيها بعدما انتفخت جُثثهم، وأُتبِع أصحابُ القليب لعنة:{أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ } [هود: ١٨].

فيا أحبابي، عندما يُحاصر المسلم من كل جهة، ويُضيّق عليه الخناق، فلا يستطيع الانتصار لنفسه ممن ظلمه، ولا يَقدر على الظلم الصارخ الذي أحاط به من كل جانب، فماذا عساه أن يفعل؟

يرفع يديه إلى السماء، فتفتح له السماء أبوابها، وتأتيه منافذ

الفرج، ويتنزّل عليه المدد، إنه مدد السماء، من رب الأرباب، وخالق الأسباب، مُهلك الجبابرة، وقاصم القياصرة، وقاهر الأكاسرة، وساحق الأباطرة، الذي أهلك عاداً الأولى، وثمودًا فما أبقى، وقوم نوحٍ من قبل، إنهم كانوا هم أظلم وأطغى.

إن رحمة الله تبارك وتعالى، تتجلى في هذا السلاح الفتّاك، الذي منحه الله للمظلومين، بل إن الظلمة مهما بلغوا من الطغيان، أفراداً كانوا أو جماعات، قد يسقطون بسبب الدعاء،{ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ } [إبراهيم: ٤٢].

فوا عجباً، ويا لله رب العالمين، يَظن الظالم أن الله غافلٌ عنه، يظن أن الله لا يعلم عنه، أم يظنّ الظالمُ أن الله عاجزٌ عنه، لا يقدر عليه، كلاّ ثم كلا، وحاش لله، إن الله يُمهل ولا يهمل، يمهل الظالم لكن لا يهمله.

سبحانه عزّ وجل وتقدس يصبر على الظلمة، ولكن إذا أخذهم لم يفلتهم، قال تعالى:{ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾} [النحل: ٦١].

فيا أيها الظالم، اتق دعوة المظلوم، لا تعرّض نفسك لدعائه، لأن دعوة المظلوم مستجابة، " اتق دعوة المظلوم "، واحذرها، فإنها تُحمل على الغمام، ويقول الله تعالى:﴿وعزتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين﴾.

﴿اتق دعوة المظلوم وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب﴾، لأنها حتمًا ستُجاب، فكيف بالمظلوم إن كان مسلماً؟ كيف بالمظلوم إن كان مؤمناً؟ كيف بالمظلوم إن كان تقياً صالحاً؟

بل كيف بالمظلوم إن كان أباً أو أماً، فيا ويلتاه لمَن ظلم أمه وأباه، ويا أسفاه على أولائك الذين ظَلَمُوا،{إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ } [الشعراء: ١١٣].

وكيف بالمظلوم إن كان أخاً أو أختاً، وكيف بها إن كانت زوجةً أو بنتاً:{سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٦].

أيها الأحبة في الله، قَصص المظلومين كثيرة، منهم من دعا على من ظلمه فاستجاب الله دعوته، أذكركم ببعضها تسليةً للمظلومين، وتحذيراً للظالمين، وإعلاماً لهم أن دعاء المظلوم مستجابٌ عند رب العالمين، " ولو بعد حين ".

فهذا سعدُ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه، ظُلِمَ فدعا على من ظلمه، وكان مجاب الدعوى، حتى قيل إن دعواه تنفذ إلى السماء، كما تنفذ السهام في الجسد، وتفصيل القصة: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عيّن سعد بن أبي وقاصٍ أميراً على أهل الكوفة، فاشتكوه إلى عمر، وقالوا إن فيه كذا وكذا، حتى قالوا إنه لا يحسن الصلاة، فدعاه عمر، فقال له يا سعد: إن الناس يقولون عنك كذا وكذا، حتى قالوا إنك لا تُحسن الصلاة.

فقال سعد: أما والله إني أصلي بهم كما رأيت رسول الله ﷺ يصلي، أطيل في الأوليين، وأخفف في الأخريين، فقال له عمر، ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، ثم أرسل عمر من يتقصى الأمر، ويتبين الحقائق، فصار أولائك النفر يقفون في أسواق الناس وفي مساجدهم ويسألونهم، ما تقولون في أميركم؟ فقالوا: لا نعلم إلا خيراً، حتى دخلوا على مسجد بني عبسٍ فسألوهم: ما تقولون في سعد؟ قالوا: لا نعلم إلا خيراً، فقام رجلٌ ظالم مُراءٍ فقال: (أما إن سألتنا عن أميرنا سعد فإنه لا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية، ولا يعدل بالقضية)،

فقام سعد بن أبي وقاص ورفع يديه وقال: (اللهم إن كان عبدُك هذا قال رياءً وسمعةً، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرّضه للفتن)، فاستجاب الله دعوة سعد، وقد كان مظلوماً من قِبل ذلك الرجل، فطال عمره حتى سقطت حاجباه على عينيه من الكِبَر، وطال فقره حتى إنه كان يمدّ يده يتكفف الناس، وتعرّض للفتن، حتى إنه كان على رغم فقره وشيخوخته وكبر سنه، كان يقف في الطرقات والأسواق، وكان ذاك الرجل يتعرض للجواري يغمزهن، فإذا قيل له في ذلك قال: شيخ كبير مفتون أصابته دعوة سعد).

إنها تقرّبات الأسحار، فالحذر الحذر أيها الأخ المبارك، ويا أيتها الأختُ الفاضلة.

فدعوة المظلوم قد تصيبك في نفسك، و قد تصيبك في مالك، وقد تصيبك في جاهك، وقد تصيبك في ولدك، في فلذة كبدك، قد تقلب صحتك سقماً، وتقلب سعادتك شقاء.

دعوة المظلوم تجعلك بعد العز ذليلاً، بعد الغني فقيراً، بعد الجاه حقيراً، بعد العلم والأدب جاهلاً شريراً، والله على كل شيء قدير.

ولا زلنا مع قصص المظلومين، فها هي يا أحبتي في الله قصة أخرى، لامرأةٍ يقال لها أروى بنت أويس، شكت الصحابيّ الجليل سعيد بن زيد رضي الله عنه إلى مروان بن عبد الحكم، وقالت إنه أخذ شيئاً من أرضها، فقال سعيد: أنا آخذ شيئاً من أرضها بعد ما سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في ذلك.

فقال له مروان: وماذا سمعت رسول الله ﷺ يقول؟ قال: سمعته ﷺ يقول:﴿من اقتطع شبراً من أرضٍ طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين﴾، رواه مسلم.

فقال مروان بن الحكم: لا أسألك بعد هذا بيّنة، يكفيني قولك هذا،

ثم قـام سـعيد بـن زيـد ودعـا علـى هذه المرأة وقـال: (اللهم إن كانـت كاذبة فأعم بصرها، واجعل ميتتها في هذه الأرض).

قال راوي الحديث عُروة بن الزبير: فو الله لقد عُمي بصرها، حتـى رأيتهـا امرأةً مسنـةً تلـتمس الجـدران بيـدها، وكانـت فـي هـذه الأرض بئر، وكانت تمشي في أحد الأيـام فسقطت فـي البئـر، وكـان ذلك البئر قبرها، وأجاب الله دعاء سعيد بن زيـد وكـان مظلومـاً، ومـا يـزال الله عـز وجـل يتقبّـل دعـوات الـداعين، ويسـتجيب اسـتغاثة المظلومين.

وهذا غيض من فيض، بل قطرة من مُحيط، وإلا فالتـأريخ ملـيء بانتصـارات المظلـومين، بفضـل استجابة رب العـالمين، فلعلّ الله أن ينصـر المسلمين المظلـومين، علـى أعدائهم الظـالمين، إنـه ولـيّ ذلـك والقادر عليه، والله على كل شيء قدير.

ومن كل ما تقدم يا عبد الله، يُستفاد جواز الـدعاء علـى الظـالمين، وكفاك أخي المسلم، وكفاك يـا أختـاه، وكفانـا جميعًا أن نلجـأ إلـى الله، وأن نفوض أمرنـا إليـه، فنقول لكل ظـالم، حسبنا الله، وحسيبك الله، وكفى بالله حسيباً.

* * *

وقفة: مع الحسد

إنه داء الأمم السابقة، وأول ذنب عُصي به رب العالمين جل وعلا، وبسببه أُخرج إبليس اللعين من فضل الله ورحمته، إلى سخط الله ولعنته، أمرنا الله تعالى بالتعوذ منه، فاللهم إنا نعوذ بك من شر حاسد إذا حسد.

يقول رسول الله ﷺ :《**دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، وهي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر**》، رواه أحمد والترمذي.

فالحسد يا عبد الله، سببُ كلّ الذنوب، فبالحسد يكثر الشر، وبالحسد تظهر المعاصي، وبالحسد يقع الحاسد في الغيبة، يتتبع العورات، ويبحث عن الزلات، لا يبالي في ارتكاب المحرمات، ولا يهمه أن يتصف بصفات اليهود والنصارى، إذ كان الحسد من صفاتهم، يقول الله عز اسمه عنهم:{ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم } [البقرة: ١٠٩].

وإذا كان الحسد اعتراضٌ على قضاء الله وقدره، فإليك أيها القارئ الكريم بعض الأمور التي يكثر فيها وحولها الحسد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فالحاسد في الرزق معترضٌ على قول الله تعالى:{ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ } [النحل: ٧١]، ومن حسد الناس على العلم والحكمة أين هو من قول الله جل وعلا وتقدس:{يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ} [البقرة: ٢٦٩].

فيا من حسدت فلاناً على أولاده، لأن الله لم يرزقك، أو رزقك البنات، بالله قل لي: أليس هذا اعتراضاً على قول الله:{يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ

عَقِيمًا} [الشورى: ٤٩ - ٥٠].

ولمن حسد الناس في جمال خلقتهم، أو كثرة أموالهم، أو طيب أفعالهم، أو في أي شيء خطر ببالك، أين أنت من قول الجبار، من قول الخالق جل وعلا:{وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ} [النساء: ٣٢].

لقد أصبحنا وللأسف أيها الفضلاء، في زمن فيه ذو العلم محسود، وذو الخلق محسود، وذو الجاه محسود، وذو المنصب محسود، وذو المال محسود، وذو الأولاد محسود، الجارُ محسود، والصديق محسود، والأخ محسود، والعم محسود، فلا إله إلا الله رب العالمين:{ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ} [الزخرف: ٣٢].

فيا لله من كل حاسد، هل للحسّاد أوكلت القسمة بين العباد، ألا يعجبهم صنع الله، هل عندهم شك في عدل الله وحكمته، أليس الله هو القائل:{ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦].

وأليس هو القائل:{وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ} [الرعد: ٨]، بلى والله بلى هو القائل، وهو القائل أيضاً:{إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾} [القمر: ٤٩].

فيا أخي الفاضل، ويا أختي الفاضلة: احذروا الحسد، احذروا الحسد فإنه داء عضال، ووباء قتال، لا يوقر كبيراً لكبره، ولا شريفاً لشرفه، ولا عالماً لعلمه.

فالحاسد في حسده في غم لا ينقطع، وعذاب لا ينتهي، ومصيبة لا يؤجر عليها، ومذمة لا يحمد عليها، يسخط عليه ربه، فيسد في وجهه باب التوفيق.

فعلام الاعتراض على قضاء الله؟ هل نسينا أننا مسلمون، هل نسينا أن الله تعالى قسم الأرزاق بين خلقه، فمنهم ذو السعة، ومنهم من قدر عليه رزقه، رفع بعضهم فوق بعضٍ درجات، ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، ورحمة ربك خير مما يجمعون، وهذه سنة الله في خلقه، حكمة تامة، وعدل كامل، ومن أراد السلامة في دينه فليلاحظ نفسه، وليطهر قلبه، وليقنع بما قسم الله له، وليسأل الله تعالى من فضله.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :《إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً》.

وفي سنن أبي داود بسندٍ جيد عن أبي هريرة وعبد الله بن كعب رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ :《إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب》.

أيها الأحبة، إن الله سبحانه وتعالى أمركم بالاستعاذة من شر الحاسد فقال:{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾} [الفلق: ١ - ٥].

وهذه السورة إخوتي الأفاضل، من أكبر أدوية الحسد، ولذا كان النبي ﷺ يقرؤها في الصباح والمساء، وفي أدبار الصلوات، وعند النوم.

فاحرصوا عليها، وعلى عامة الأذكار، فإنها من أسباب دفع شر الحاسد وحسده.

ومن أسباب دفع شر الحاسد أيضًا، تقوى الله تعالى، فإنه من يتق

الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.

ومن الأسباب التي تدفع شر الحسود: التوكل على الله، فإن من يتوكل على الله فهو حسبه، أي كافيه ومانعه.

كما أن من أسباب زوال الحسد، وشر الحاسد: هو الإحسان إليه، فكلما ازداد أذىً وشراً، وبغياً وحسداً، يزداد المسلم إليه إحساناً، وله نصيحة، وعليه شفقة.

قال الله تعالى وتقدس:{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾} [فصلت: ٣٤].

وأيضاً مما يُعين على كف شر الحاسد، أن تعلم أن الحاسد أولُ ضحايا الحسد، فهو مُعذب مهموم، ومريض مغموم، حيث قيل: (لم نر ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد)، وقول الآخر: عقوبة الحاسد من نفسه، حتى قال المؤمن الصادق:

أبقى لي الله حسَّادي وغمهم ::: حتى يموتوا بداءٍ غير مكنون.

واعلم رحمني الله وإياك قارئي الكريم، أن الحاسد يصلُه خمسُ عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود شيء، أولها: غم لا ينقطع، والثانية: مصيبة لا يؤجر عليها، والثالثة: مذمة لا يحسد عليها، والرابعة: يسخط عليه الرب، والخامسة: تغلق عليه أبواب التوفيق.

وقال آخر: الحاسد لا ينال في المجالس إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال في الخلوة إلا جوعاً وغماً، ولا ينال عند الفزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال في الموقف إلا فضيحة ونكالاً، ولا ينال في النار إلا حراً وسلاسلاً وأغلالاً.

فيا عبد الله، ويا أيتها المسلمة المباركة، الرضا بقَسَم الله وعدله، الرضا بقضائه وقدره، فلا حيلة في الرزق، ولا استطاعة لتغيير

الخلقة، ولذا، لا للحسد، ولذا، أعوذ بالله من شر الحساد إذا حسدوا.

فعلام الاعتراض والله خالق؟ ولم التذمر والله رازق؟ ولم التسخط والله بكل شيء عليم؟ بيده مقاليد السماوات والأرض، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، سبحانه بعباده خبير بصير.

* * *

وقفة: مع الكِبْر

عجيبة هي طباع فئام من الناس، إذ تراهم يصابون بشيء من الغرور، ويدفعهم هذا الغرور إلى الترفع والتكبر على الآخرين.

فبعض الناس يصيبه الغرور لكثرة ماله، أو لشرف نسبه، أو ما يملكه من جاهٍ وسلطان.

وبعضهم يغتر بسعة علمه، واتساع مدركه، وما يحمله من ثقافة ومعرفة، ومنهم من تجده مغرورًا مترفعًا بسبب عبادته وتنفلّه.

تلكم الفئام من البشر يتكبرون على عباد الله تعالى، شعورًا منهم أنهم أفضل من الآخرين، وأنهم في درجة عليا، بينما الآخرون أدنى منزلة، وسبحان الله العظيم.

يقول الحق تبارك وتعالى، وهو أصدق القائلين،{وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾} [الأعراف: ١١ - ١٣].

فيا أسفاه على المغرورين المتكبرين، وهم بغرورهم يقلدون إبليسًا، ويقتدون به، والله المستعان.

أحبتي في الله، إن إعجاب المرء بنفسه مهلكة له دون غيره، فتجده مرهقًا لنفسه، يفكر بم يترفع؟ وكيف يكون أفضل من غيره ليتكبر عليهم؟ وهذا الشعور الباطني، قال الله تعالى عنه:{إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ} [غافر: ٥٦].

فالكبر يدفع بصاحبه إلى التكلف في القول والسلوك، فيرى نفسه كمن ينظر للناس عن بُعد، أو من ارتفاع شاهق، فيراهم صغارًا

فيستصغرهم، ويرى نفسه كبيرة فيتعاظم ويتكبر.

قال أحد الشعراء:

مثل المعجب في استكباره ::: مثل الواقف في رأس الجبل
يحسب الناس صغارًا وهو ::: في أعين الناس صغير لم يزل

التكبر يا عبد الله محرّم، وخلق ذميم، وسلوك مشين، يعجل الله لصاحبه الإهانة والذل في الدنيا، وسوء العاقبة في الآخرة، قال رسول الله ﷺ :《**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**》، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة، فقال ﷺ :《**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**》، رواه مسلم.

أليس من الجحود وكفران النعم التي تستوجب الشكر لله تعالى، أن يصاب الإنسان بالغرور والتكبر على الناس؟

لقد كان من هدي الله تعالى لرسوله ﷺ ، ولنا من بعده، أن يكون ليّن الجانب، متواضع النفس، رحيمًا، فقال عز وجل:{ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾} [الشعراء: ٢١٥].

وحيث إن نبينا صلوات الله وسلامه عليه، هو أسوتنا، ومثلنا الأعلى، فينبغي لنا الترفق بمن حولنا، والتحبب إليهم، والتواضع لهم، لنجسد تعاليم الإسلام واقعًا عمليًا.

فاحذروا الكبر، واحذروا جميع مظاهره، فمن الكبر الترفع بالمال والولد والنسب، ومنه إعجاب المرء بنفسه، ومن الكبر الاختيال في المشي، وغير ذلك كثيرٌ كثير.

أضف إلى ذلك أن من مظاهر الغرور والتكبر المشين، ما أصبح يجري بين النساء من التباهي بالجمال، والتفاخر بالثياب، فانتشر بذلك الازدراء، والاحتقار لبعضهنّ بعضًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، إن التكبر والغرور يكسبان المقت، ويوغران الصدور، ويزرعان الكراهية والبغضاء بين الناس، ويؤديان بصاحبهما إلى النار، وصدق الله تعالى:{أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ } [الزمر: ٦٠].

بلى والله، في جهنم مثوًى، وأي مثوًى للمتكبرين، ولذا فيا أخي العزيز، لا للكبر، لا للغرور، لا للترفع، لا لبطر الحق، لا لغمط الناس، بل إخوة على سرر متقابلين بإذن الله رب العالمين.

فهيا ولنحذر من الكبر، فهو سبب يوجب النار، ويحرم من نظر الله العزيز الجبار، فالمتكبر محروم من نظر الله يوم القيامة، وفي الحديث:«من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»، رواه الشيخان.

وقفة مع الكبر يا عبد الله، وقفة مع الكبر تجعلك تخشاه، وتحذرك من الوقوع فيه، وتدعوك إلى الابتعاد عن الكبر والمتكبرين.

فمن نظر بعين الإنصاف إلى كيفية نشأته، ومعاده، وحسابه، وعرف أن أصله نطفة، وآخره جيفة، وبينهما يحمل العذرة، فقد حمى نفسه من الفخر، ودفع عنها الكبر، وكان من الفائزين في الدنيا والآخرة.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

* * *

وقفة: مع الاحتكار

لك أن تتخيّل قارئي الكريم، مجتمعًا يتضور بعض أفراده جوعًا، عضهم الفقر بنابه، ولحقت بهم الفاقة، فلا يجدون أدنى ضرورات العيش، بينما التجار في ذات المجتمع، يسرعون إلى الحاجات والسلع، فيحتكرونها، ويعملون على إخفائها من الأسواق، انتظارًا للغلاء، وطلبًا للثراء، وابتزازًا لأموال الناس، وذلك هو الاحتكار البغيض.

مع العلم أن تعاليم الإسلام، جاءت لبث روح التعاون والإيثار، وتفعيل التكافل بين المسلمين، والتركيز على ضرورة التراحم، والتعاطف بين الناس، ليهنأ الجميع بالحياة سعيدة، وحتى يكون المجتمع متماسكًا، لا تهزه العواصف، لا تؤثر فيه الفتن.

إن الإسلام يا أحبتي، لم يقف في وجه طلب الرزق، والسعي وراء تحصيل المال من وجوهه الشرعية، بل ذلك مطلوبٌ شرعًا، ومحمود عقلاً.

فالإنسان بلا أدنى شكٍ، في حاجة لمسكن، ومأكل، ومشرب،... وغير ذلك من الأمور التي لا غنًى له عنها.

والتجارة من أفضل طرق الكسب، ومن أجل الأعمال التي يتقرب بها العبد لربه، فالتاجر الصدوق يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء.

ولشرف التجارة، اشتغل النبي ﷺ بها، فكان نعم التاجر، شعاره الصدق والأمانة، وعدم الاحتكار والاستغلال.

فنال صلوات الله وسلامه عليه ثقة الناس، وكسب محبتهم، وفاز بتقديرهم له، ونال عظيم الثناء، ووصفوه بالصادق الأمين.

ذلك النبي ﷺ أسوتنا، وهو الذي منع الاحتكار، وحذر منه، لأن الاحتكار كسب مالي غير مشروع، وهو جمع أقوات الناس، وحاجيّاتهم، وتخزينها، حتى تقلّ في الأسواق، ثم عرضها بأسعار مرتفعة.

يا عبد الله، لا يكون الاحتكار إلا ممن فسد طبعه، وساء خلقه، إذ كيف يُقدم عليه المسلم وهو محرم شرعًا، ومذموم عقلاً، وممقوت طبعًا، وعلة مقته الإضرار بالناس، والتضييق عليهم، والله المستعان.

أحبتي في الله، التاجر المحتكر الجشع، همّه وهدفه جمع أكبر كمٍّ من المال، من حلال أو حرام، فتراه يَعمدُ دائمًا إلى استغلال الناس، واحتكار السلع ورفع أسعارها، ناسيًا أن الله تعالى لن يبارك له في تجارته، ولا في ماله ولا أهله، فكل ما نبت من سُحتٍ فالنار أولى به.

المحتكر أيها الأخ الفاضل، ويا أيتها الأخت الفاضلة، المحتكر غير قانع بما قسمه الله، فهو ضعيف في عقيدته وإيمانه، وغير واثقٍ برزق ربه، ولذا استحق الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، لأنه لم يرحم من في الأرض، فلن يرحمه من في السماء، ولا أدل على ذلك من دليل، إلا أن تسمع قول رسول الله ﷺ عن المحتكرين: ﴿**الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون**﴾، رواه ابن ماجه.

أضف إلى ما ذكر، أن عقوبة المحتكر، ليست أمرًا هينًا في الآخرة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وحَسْبُ المحتكر قول رسول الله ﷺ :﴿**من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليُغليه عليهم، كان حقًا على الله تبارك وتعالى، أن يُقعده بعُظْمٍ من النار يوم القيامة**﴾، رواه أحمد.

ذلك هو شرع الله، وتلك هي تعاليم ديننا بخصوص الاحتكار، فاتقوا الله يا أيها الأحبة، واحرصوا على التخلق بالأخلاق الفاضلة،

والسجايا الكريمة، ولا تكونوا ممن زاغت عقيدتهم، وساءت طويتهم، وغلبت عليهم أنانيتهم، فباعوا نعيمًا مقيمًا دائمًا، وآخرة خالدة، بحطام من الدنيا زائل.

إخوتي الأعزاء، الله الله، ولا يحملنكم حب المال، أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا يطلب إلا بطاعته، وليكن لكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، تشبهوا بالصحابة الكرام، رضوان الله عنهم أجمعين، تشبهوا بمآثرهم الجليلة، حتى يسجل لكم التأريخ في صفحاته، كما سجل وبأحرفٍ من نور لأولائك الأفذاذ.

فمن ذا الذي ينكر ما سجله التاريخ؟ أليس محمد ﷺ ، هو الصادق الأمين، بلى والله بلى.

من نَسيَ مرور عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الأسواق ليضبطها، وليراقب تطبيق التجار لمبادئ الإسلام؟

ومن يقوى على نسيان ذلك التاجر النبيل، الذي تحرّى الحلال في تجارته، ولم يحتكر قط، ولم يكن أبدًا عبدًا للدرهم والدينار؟ وحاشاه حاشاه، كيف وهو عبد الرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه وأرضاه!

إنها صفحات ناصعة البياض، لهؤلاء، ومن بعدهم كثير، ممن لم يستغلوا المسلمين أيام المحن والشدائد، بل بذلوا غاية الوُسع، وقصارى الجهد، ليخرج المجتمع الإسلامي من محنته، وهو أصلبُ عقيدة، وأقوى إيمانًا، وأكثر تماسكًا، وأشد تكافلاً.

فيا أيها الأخ الحبيب المبارك، وأيتها الأخت الكريمة الفاضلة، هلاّ أيقنا بأن لا حيلة في الرزق، وأن الأرزاق بيد الله، وما الله بظلامٍ للعبيد؟

وهلاّ آمنا بأن الله:{هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٨]، و{ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ } [الشورى: ١٩].

وقفة أيها الفضلاء، فلا لاستغلال الناس، ولا للتضييق عليهم في معايشهم، ولا للإضرار بالآخرين، وبالجملة لا للاحتكار، لا للاحتكار، لا للاحتكار.

نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح، وأن يهدينا سبلنا، فهو سبحانه يهدي السبيل.

* * *

وقفة: مع الأمانة

سبحان الله العظيم، ما فرّط في الكتاب من شيء، بل إن كتاب الله تعالى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فها هو يتحدث عن الأمانة، ويمتدحُ حافظيها، فكان ممّن أفلح من المؤمنين:{ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾} [المؤمنون: ٨].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال:﴿**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**﴾، متفق عليه.

فالتحلي بالأمانة أيها المسلم، مطلب شرعي، حضّ عليه الشارع الحكيم، وحض عليه الرسول الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

الأمانة في نظر الشرع واسعة الدلالة، كبيرة المضمون، ترمز إلى معانٍ شتى، وتشير إلى أمور كثيرة، فهي تتعلق بشعور المرء بتبعته في كل ما يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه، استلهامًا من قول الحبيب ﷺ :﴿**كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته**﴾، رواه مسلم.

فيا أيها الأحبة في الله، لا تقتصر الأمانة على الأموال فحسب، كما يظن عدد غفير من الناس، بل تشمل كل التزام بين الإنسان وربه، وبين الإنسان ونفسه، وبينه وبين الناس، فكل ذلك من قبيل الأمانة التي يجب حفظها وأداؤها.

ولقد تحمل الإنسان الظلومُ الجهول الأمانة، تحملها عن سائر المخلوقات، يقول الله في محكم الآيات:{ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾} [الأحزاب: ٧٢].

فيا لله، أبت العوالم كلها حمل الأمانة، وحملها الإنسان وحده، بصغر حجمه، وقلة قوته، وضعف حوْله، ومحدودية عمره، وهو تتناوشه الشهوات والنزعات، والميول والأطماع.

ولك أنت تتصور أيها الأخ المبارك حفظك الله، لك أن تتصور السماوات بعلوّها الشاهق، والأرض بحجمها الواسع، والجبال برسوخها الثابت، لم تستطع حمل الأمانة، وأبت أن تحملها، ويأتي هذا الإنسان ليحملها، مستعينًا على حملها بخالقه جلت قدرته، لأنه المخلوق المكرّم عند ربه:{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ} [الإسراء: ٧٠].

فقد حمل الأنبياء والمرسلون عليهم السلام الأمانة، وعلموها أتباعهم، وبينوا لأتباعهم مسؤولية الأمانة، فهذا رسولنا محمد ﷺ يحث على الأمانة في خطبه، ويدعو إلى أدائها على الوجه الذي يرضي رب الأرض والسماوات، فعن أنس رضي الله عنه قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال:«**لا إيمان لمن لا أمانة له**»، رواه أحمد وابن حبان.

إخوتاه، العبادات أمانة، فعلينا أن نؤديها بتمامها، ولا ننقص منها شيئًا ما دمنا قادرين على ذلك، والعقل الذي منحنا الله إياه أمانة، والجسم أمانة، والنفس أمانة، يقول عليه الصلاة والسلام:«**نفسك مطيتك فأرفق فيها**»، رواه مسلم.

زوجك، وولدك، ووالدك، وصلة قرابتك كلهم أمانة، والوطن أمانة، والأمة في أيدي ولاة الأمور أمانة، والمال في أيدي الناس أمانة، فإن أحسنوا التصرف به والقيام عليه أدوا أمانته، وإلا كانوا ظالمين.

والدين يا أمة الإسلام أمانة في أعناق المسلمين، وبخاصة العلماء منهم، والأمثلة أكثر من أن تحصر، أو أن تحصى، فكل جزءٍ من هذه الحياة أمانة، سواءً كان في العقيدة، أو الشريعة، أو العبادات، أو السلوك والمعاملات، أو الأدب، وكل شأنٍ، كالتكامل الاجتماعي، والسياسة الرشيدة، والخلق الحسن الكريم.

ومن الأمانة: أن تحترم الأمةُ أفرادًا وجماعات العهود والمواثيق، لما في ذلك من أثر طيب على الفرد والجماعة.

ولذا أخي الكريم، وأختي الفاضلة، كان النبي ﷺ ، يستعيذ بالله تعالى من نقيض الأمانة، فكان يقول مخاطبًا ربه:﴿**وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**﴾، رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

وقد سطر التأريخ بأحرف من نور، ومداد من ذهب، المثل الأروع في أداء الأمانة للرسول الكريم ﷺ ، فقد خلَّف وراءه عليًا رضي الله عنه، عندما هاجر ﷺ إلى المدينة، ليرد الأمانات إلى أهلها، وهم من؟

هم من المشركين الذين أخرجوه من مكة، فيا له من موقف عظيم، لرسولٍ عظيم، تحلى بأداء الأمانة، فلا غرو ولا استغراب، فهو الصادق الأمين.

يقول الله تبارك وتعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا} [النساء: ٥٨]، فهيا أحبتي في الله، هيا فلنتق الله في أماناتنا وعهودنا، ونؤد الأمانة لأهلها.

وقفة يا عبد الله، وقفة صادقة مع ربك، ثم مع نفسك، أد الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك، ولا يحملنك حب الدنيا على مخالفة القرآن الكريم، فتعرّض نفسك لسخط الله وغضبه.

فلا، ولا، ولاَ، لا تكن خائنًا لنفسك، ولا في عملك، ولا في تجارتك، ولا تطفّف الكيل والميزان لتغنى بسرعة، فيكون مالك من السحت، والنار أولى به، عياذًا بالله رب العرش العظيم.

واعلم أُخَيَّ أن ثلاثًا متعلقاتٌ بعرش الرحمن:

الرحم تقول: اللهم إني بك فلا أقطع.

والأمانة تقول: اللهم إني بك فلا أخان.

والنعمة تقول: اللهم إني بك فلا أُكفر.

إذن، فالأمانة تستعيذ بربها من خيانتها، وكل ذي أمانة مسؤول عن أمانته، محاسب عليها، يوم يصرخ قائلاً:{أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ} [القيامة: ١٠]، فيقال:{كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾} [القيامة: ١١ - ١٢].

فلعموم المسلمين، من ضيّع أمانة عليه أن يدرك نفسه، وليتب إلى الله تعالى، وليؤد الأمانة كما أمره الحي القيوم، قبل أن تأتيه ساعة الندم، ولن ينفعه الندم.

فاللهم اجعلنا من أولائك الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، وتبارك الله رب العالمين.

* * *

وقفة: مع التوبة

نداءٌ من الله تعالى لعباده، يعلن فيه عن واسع رحمته بهم، وإشفاقه جلت قدرته عليهم وعلى حالهم، ويناديهم بما يضمهم إليه:{قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾} [الزمر: ٥٣].

تعالى جده، سبحانه كتب على نفسه الرحمة بعباده، وبين أنه يغفر الذنوب جميعًا، فلا يغفر الذنوب سواه، ولا يكفر الخطايا إلا هو جلت قدرته، قال تعالى:{وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ} [آل عمران: ١٣٥].

فيا إخوتاه، لا بد للإنسان في هذه الحياة الدنيا من الخطأ، فكثيرًا ما يضلُّ الطريق، وينحرف عن جادة الصواب، إما لجهلٍ وحماقة، أو استجابة لإغراء عابث، أو شهوة جامحة، فيهبط بسبب ذلك عن مستواه الإنساني، ويتخلف عن أداء رسالته الخيرة في هذه الحياة.

فلا يختلف عاقلان، على أن ارتكاب المعاصي والآثام، يحط من قيمة الإنسان، ويسقط من مكانته الدينية والاجتماعية، ويبتعد عن النهوض بتبعات الحق والخير.

فالعاقل يا أخي، والعاقل وحده، هو الذي يكبح جماح نفسه، ويخطمها بالحق، ويعمل على تصحيح أخطائه، ويعالج أمراضه، ويغسل نفسه مما يكون قد ران عليها، ويستأنف العمل في الحياة في ثوب نقي نظيف، ويسرع بالرجوع إلى الله تعالى، مستجيبًا لقول ربه: {وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١].

ويتذكر دائمًا قول الرسول ﷺ :«كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»، رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم.

أيها الأحبة في الله، إن من يمعن النظر في كتاب الله تعالى، وفي

أحاديث رسول الله ﷺ ، يجد أن التوبة واجبة من جميع الذنوب والمعاصي، ما ظهر منها وما بطن، وليس المؤمن بمنأى عن قول ربه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ} [التحريم: ٨].

وحتى تكون التوبة نصوحًا، صادقة مع الله، وخالصة لوجهه الكريم، فلا بد أن تكون التوبة خالصة لله عز وجل، غير مريد بها شيئًا من الدنيا، ولا منزلة عند مخلوقٍ من الخلق أبدًا، وأن يقلع التائب عن المعصية إقلاعًا فوريًا، ويندم على فعلها واقترافها، مع ضرورة العزم ألا يعود إليها أبدًا، وأن يبرأ مما للخلق من حقوقٍ عنده، رزقني الله وإياك أخي توبة نصوحًا إنه خير مجُيب.

فيا باغي السعادة أقبل إلى توبة نصوح، فالتوبة النصوح طريق السعادة، وسبيل المسلم إلى الفلاح، والفوز في الدنيا والآخرة.

التوبة النصوح، طمأنينة للقلب، وانشراح للنفس، وهدوء للبال، وراحة للضمير، فالتائبون، أوسع الناس صدورًا، وأكثر الناس راحة، في وجوههم البِشْر، وفي قلوبهم اليقين، وعلى ألسنتهم الخير.

ولذا، كانت التوبة ديدن النبي ﷺ ، كيف لا وهو القائل:﴿والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة﴾، وهو القائل أيضًا:﴿يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة﴾، رواهما البخاري ومسلم.

فيا أحبتي، كيف لا نتوب إلى الله، وهو تعالى يفرح بتوبتنا؟ كيف لا نتقرب إلى الله؟ وكيف لا نقبل إليه منيبين مستغفرين تائبين؟

فالله أكبر، يغفر ذنوبنا، ويقبل توبتنا، بل ويفرح برجوعنا إليه، يقول رسول الهدى ﷺ :﴿الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة﴾، رواه البخاري ومسلم.

فهيا هيا، ولنوقظ ضمائرنا، ولنشعر بالتقصير تجاه خالقنا، وتفريطنا في جنب الله ربنا، ولنلجأ إلى الله بندم يختلج في صدورنا، فإن ذلك باعثاً لنا على التوبة والرجوع إلى الحق، مع إيماننا الكامل، وقناعتنا الراسخة، بأن الرجوع إلى الحق فضيلة وفريضة.

والتفاتة كريمة إلى كتاب الله، تجعلنا ننظر إلى تلك النفس اللوامة التي سرعان ما تعود وترجع وتستغفر، قال تعالى:{لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢} [القيامة: ١، ٢].

فما أعظمها من نفس، وهي تعجل بالتوبة والإنابة والاستغفار، ولا تبقى مصرة على العصيان، فالندم، محطة من محطات التوبة، ويا لفرح التائبين.

بالتوبة أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، بالتوبة يصبح المؤمن أهلاً لعون الله، في الشدة والرخاء، في العسر وفي اليسر.

بالتوبة يرزقك الله صبرًا تقهر به عوامل الشر، وتستعين به على أداء فرائض الله، وصبرًا يعينك على تحمل أقدار الله، فتصبح أهلاً لعفوه جل وعلا، فيقبل عملك الصالح،{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧].

يا عبد الله:

قدم لنفسك توبة مرجوّة ::: قبل الممات وحبس الألسن
بادر بها غلق النفوس فإنها ::: ذخر وغنم للمنيب المحسن

فيا أخي، يا مسلم، هيا إلى التوبة النصوح، تب ولا تتردد، لا تؤخر التوبة، ولا تؤجلها، ولا للتسويف، فها هي قوافل التائبين تغدو وتروح، فالبدار البدار إلى توبة نصوح، قبل أن تغرغر الروح، يقول الله تعالى:{وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ} [طه: ٨٢].

وكن من أولائك:{ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾} [الفرقان: ٧٠].

فاللهم إنا نسألك توبة تغفر بها ذنوبنا، وتعفو بها عنا، وتدخلنا بها جنتك، إنك أنت العفو الكريم.

* * *

وقفة: مع الشباب

الدم المتدفق، والروح المتوثبة، ومظهر الحيوية والنشاط، للمجتمع الإسلامي المتماسك، هم الشباب.

وهم أيضًا قلب مجتمعهم النابض، وعزمه القوي، وسواعد بنائه، فعلى أكتاف الشباب تلقى أثقال المسئولية، وبعقول الشباب تبنى الحضارات، وبطموحاتهم ترتفع رايات الأمة، وتكون عزيزة مهابة.

وصدق الله العظيم،{مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣} [الأحزاب: ٢٣].

إن إرادة الشباب تصنع الأعاجيب، وتحقق الأهداف، وتبني الأمة، وتنشر الحق، وتدحر كيد الأعادي، بإذن الله رب العالمين.

فقوة الشباب وحدها، هي التي تستطيع أن تقرر مصير الشعوب، فتدفع بها إلى الرقي والتقدم، أو تنحدر بها إلى هاوية التقهقر والانحطاط.

فالشباب يا أعزائي، إن صلحوا، وأخلصوا النية، وأخبتوا لله، وجدت الأمة نفسها في الطليعة، وحظيت من بين الأمم بالتقدم والازدهار.

فما حقق سلفنا الصالح رضوان الله عليهم النصيب الوافر من الرفعة لأمتنا، إلا على أيدي الشباب، إنهم فتية آمنوا بربهم، وتوكلوا عليه، وعقدوا العزم على مواصلة الكفاح، حتى بلغوا أعز الآمال.

وكان شأنهم شأن ذلك الصحابي الجليل، عُمير بن الحمام الأنصاري، فقد سمع رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقول لأصحابه:《قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض》، فقال عُمير: (جنة عرضها السماوات والأرض)، قال:《نعم》، قال: (بخٍ بخٍ)، قال

رسول الله ﷺ :﴿**وما يحملك على قول بخ بخ؟**﴾، قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، فقالَ عليه الصلاة والسلام:﴿**فإنك من أهلها**﴾.

فأخرج عُمير تمرات فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حَييتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى ما كان معه من التمر، ثم دخل المعركة حاملاً سلاحه بيمينه، يهوي به على رقاب المشركين، وهو يردد:

ركضًا إلى الله بغير زاد ::: إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد ::: وكل زاد عرضة النفاذ

غير التقى والبر والرشاد

فما زال يقاتل حتى سقط شهيدًا رضي الله عنه، تاركًا للأجيال من الشباب بعده مثلاً أعلى في التضحية بالنفس، وصدق القائل:

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

فضمن لنفسه حياة خالدة في جوار الله تعالى:{وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾} [آل عمران: ١٦٩].

فهلمّوا أيها الأحبة في الله، وأمعنوا النظر وأنتم تتلون كتاب الله الكريم، وتتعبدون بتلاوته، أمعنوا النظر إلى قصص الأنبياء عليهم السلام، انظروا في قصة فتية آمنوا بربهم، وسكنوا كهفهم، وتأملوا وصية لقمان لابنه وهو يعظه، وإلى كثير المديح الذي استحقه صحابة رسول الله ﷺ ، نتيجة أعمالهم التعبدية، وتضحياتهم البطولية، ومواقفهم التي برهنوا فيها على قوة إيمانهم، وحبهم لدينهم، وتقديرهم لأمتهم، ولأبناء الإنسانية.

فيا أيها الشباب، هيا للعمل، هبوا من أجل نصرة الدين، ورفعة

الأمة، والذود عن المقدسات، برهنوا على أن الأمة لا زالت بخير، وهي بخير إن شاء الله تعالى.

وكونوا كأولائك الشباب الذين تخرجوا من مدرسة النبوة، وتتلمذوا على معلم البشرية، محمد ﷺ ، ومنهج وضعه قيوم السماوات والأرض.

تذكروا ذلكم الدرس البليغ، الذي قدمه نبينا محمد ﷺ لابن عباس رضي الله عنه، ولأبناء الأمة من بعده، إنه درس يشتمل على العقيدة، وعلى الشريعة، وعلى المعاملات، ونص ذلك الدرس:﴿**يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**﴾، رواه الترمذي.

الله أكبر، الرسول عليه الصلاة والسلام، يدعو الشباب إلى أن يحفظوا الله ليحفظهم، وحفظ الله يكون بالاستقامة والتقوى.

ولهذا وعد رسول الله ﷺ الشباب المستقيم بظل الله، فمن السبعة الذين ذكرهم النبي ﷺ ، وبين أنهم يكونون في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، شاب نشأ في طاعة الله.

فيا أيها الحبيب، ألا تتفق معي بأننا في أمسّ الحاجة لمثل هذا الدرس في مناهجنا؟ وأن يتعلمه أبناؤنا في المدارس؟ والجواب متروك لك وحدك!

فيا شباب الإسلام، وقفة مع الشباب، مع هذه المرحلة العمرية، فاغتنموها، اغتنموا شبابكم قبل هرمكم، فأنتم المعوّل عليكم بعد الله تعالى، فلا تخيبوا الآمال، رجاءً لا تخيبوا آمال الكثيرين،

ممن يدعون الله صباح مساء، وأنا من بين من يسألون الله جلت قدرته، أن يحفظ شباب هذه الأمة، وأن يكتب على أيديهم النصر المبين.

أيها الشباب، والحرقة أصابتني، إن أمتكم تعلق عليكم آمالها، وهي تتطلع إلى استعادة عزة فقدت، وكرامة هُدرت، ونصرٍ غاب، ومجد تليد قد ذهب.

وهي لم تعد ترى شيئًا من ذلك إلا من خلال عقولكم النيّرة، وسواعدكم القوية، لتذليل العوائق، وإزالة التخلف، ومسح ضبابة الغبار الذي خيّم عليها.

تحقيق ما ذُكر منوط بكم، فكونوا أهلاً لتحمل المسئولية، وقولوا، الأمةَ الأمة، في حاجة لنا، ولن نخذلها، وسلوا الله التوفيق.

فلن تهان أمة وعى شبابها قول ربهم:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠].

أخي الحبيب، أختي الفاضلة، من اليوم تفكيرنا في أمتنا، وكيف ننهض بها، وكيف نعيد مكانتها بين الأمم، رائدة خالدة قائدة.

نسأل الله أن يحفظ شبابنا، وأن يعزهم بالإسلام، وأن يعز بهم الإسلام، وأمة الإسلام، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، هو مولانا وناصرنا، فنعم المولى، ونعم النصير.

* * *

وقفة: مع المرأة

لعلك تتفق معي أيها القارئ الفاضل، أنه في الآونة الأخيرة ارتفعت الأصوات، وتتابعت النداءات، حول وضع المرأة في العالم المترامي الأطراف، فعقدت ندوات، وأقيمت مهرجانات ومسابقات، وكل يدّعي أن المرأة قد هُضم حقها، وأهدرت كرامتها، وكبتت حريتها، وأسقطت منزلتها،... ويردون ذلك إلى دين الله الإسلام، ويزعمون أن الإسلام هو الذي فعل كل ذلك بالمرأة، ونسوا وتناسوا، بل عموا وصمّوا، فالإسلام بريء مما يزعمون براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

فها هو القرآن الكريم ما زال بين يدي المسلمين، يتلون فيه قول الله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾} [الحجرات: ١٣].

لقد عرض القرآن الكريم لكثير من شؤون المرأة، في أكثر من عشر سور منه، بل إن سورتين، عُرفت إحداهما بسورة النساء الكبرى، بينما عرفت الأخرى بسورة النساء الصغرى، وهي سورة الطلاق.

فضلاً عن ذلك، فإن القرآن كما أسلفتُ تعرض لشؤون المرأة في سورٍ عديدة، من ذلك سورة البقرة، وآل عمران، والمائدة، ومريم، والنور، والأحزاب، والمجادلة، والممتحنة، والتحريم، ومع ذلك يُعاب على الإسلام، فسبحان الله العظيم!

إن ما ورد من آيات في السور التي مرت معنا، لهو دليل قاطع، وبرهان ساطع، على مدى عناية الإسلام بالمرأة وحقوقها، والمكانة التي تنبغي لها، وهو ردّ يُلجم أفواه الكثير من الحاقدين على الإسلام

والمسلمين.

أيها الأحبة في الله، لقد منح الإسلام المرأة كل حق، وصانها من كل شرّ وعبث، وعن كل ما يخدش عفافها وحياءها، وقد اشتمل القرآن الكريم على الأحكام والآداب التي ترشد إلى حقوق المرأة ومنزلتها في الحياة.

وأول هاتيك الحقوق التي أقرها الإسلام للمرأة، هو الأصل الذي تفرّع منه الإنسان، إذ لا تفاضل بين المرأة والرجل من الناحية الإنسانية، فكلاهما لآدم.

ففي القرآن الكريم:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً} [النساء: ١].

وكذلك نجد كافة النصوص التي تتحدث عن الإحسان إلى الوالدين، لم تشر إطلاقًا إلى التفرقة، فالرجلُ والد، والمرأة والدة، والإحسان يكون لكليهما، قال تعالى:{وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا} [النساء: ٣٦].

بل والله يا أخي الحبيب، إنك لتُذهل من سماحة هذا الدين، وأنت ترى النبي ﷺ يُقدم الأم على الأب، عندما سأله رجل عن أحق الناس بصحبته، فقال ﷺ :《أمك》، قال الرجل: ثم من؟ قال:《أمك》، قال: ثم من؟ قال《أمك》، قال: ثم من؟ قال:《أبوك》، رواه البخاري ومسلم.

إن الذي يتهم الإسلام بالبعد عن مسايرة الحياة، إما أن يكون ممن تلقى أحكام الإسلام من مصادر زاغ كاتبوها عن لب الحقيقة، أو ربما يكون من الذين لم يكن لهم سبيل إلى معرفة حقيقة الإسلام، أو أنه ممّن أخذته العزة بالإثم، فرأى سماحة الإسلام، ولكن أبى أن ينظر بعين الإنصاف، وآثر أن ينظر بعين أصابها الحَوَل!

فيا أختاه، إن الإسلام معك، ولم يقوّض حقوقًا لك أبدًا، فمن ذا الذي يمنع المرأة أن تقوم بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ينكر دورة المرأة في الجهاد والغزوات، وكان ذلك في عهد رسول الله ﷺ ، ويدل على ذلك الباب الذي عقده البخاري رحمه الله في صحيحه، وسمّاه، " خروج النساء مع الغزاة في سبيل الله "، وروى تحته من بطولات النساء العجب العجاب.

بل إن الإسلام لم يقف عند هذه الحد، فرفع من شأن المرأة، وقرر احترام رأيها فيما تبدو وجاهته، شأنها في ذلك شأن الرجل سواءً بسواء.

ولا أعلم، والله ورسوله أعلم، لا أعلم أحدًا من الفقهاء المسلمين، رأى أن النصوص الواردة في مباشرة التصرفات المالية خاصة بالرجال دون النساء.

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، إن ما ورد من أحكام شرعية فيها اختلاف ما بين الرجل والمرأة، كالشهادة والميراث مثلاً، إنما هي أمور لها أحكامها وتفصيلاتها... وثوابت العمل بها أنها أحكام نصية، شرّعها الله تعالى، ومن تدبّر فيها يجد أنها تتفق مع الفطرة، والثوابت التشريعية في هذا الدين القويم، ويجدها محققةً لسعادة المرأة التي كفل الإسلام لها حقوقها.

وثمة مسائل من الميراث يعرفها المتخصصون، ترث المرأة فيها نصيبًا أكثر من الرجل، كما إن المرأة مصانة في المجتمعات الإسلامية دون غيرها من المجتمعات، بفضل الله رب العالمين.

أجل يا أحبتي، لقد كرّم الله تعالى، المرأة أمًا، وبنتًا، وزوجةً، وأختًا، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال:﴿**النساء شقائق الرجال**﴾، رواه أبو داود والترمذي.

فيا أيتها الأخت الفاضلة، لا عليك إلا أن تتمسكي بدينك، وأن تعضي عليه بالنواجذ، ولن تكوني إلا راضية بإذن الله رب العالمين.

إن السعادة يا أَمَةَ الله، في اتّباع دين الله، والتمسك بالكتاب والسنة، وما يحويانه من أحكام، حيث إن المتمسك بالكتاب والسنة لمن أسعد الناس في الدنيا والآخرة، وإن الله على ذلك لشهيد.

اللهم أصلح شبابنا ونساءنا، يا ذا الجلال والإكرام، يا رب العالمين.

* * *

وقفة: مع الزواج

من خلال هذه الوقفة، دعني أحدثك أخي الكريم عن حديث خاطب به النبيّ ﷺ شباب الأمة، وعمادَ حضارتها، قال في أوله: ﴿يا معشر الشباب﴾، وقال الحسَن البصري رحمه الله: لم يقُلها في حديثٍ غيره على حدِّ علمنا.

يقول النبي ﷺ: ﴿**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنّه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج..**﴾، متفق عليه.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، يقول المصطفى ﷺ: ﴿**النّكاح من سنّتي، فمن لم يعمل بسنّتي فليس منّي، وتزوجوا فإنّي مكاثرٌ بكم الأمم، ومن كان ذا طَوْلٍ فلينكح**﴾، رواه ابن ماجه.

فيا أيها الشاب المبارك، يا من حامت سنُّكَ على الثلاثين، بل يا من تجاوزت الثلاثين في العمر، يقولُ الصّديقُ رضي الله عنه وأرضاه: (أطيعوا الله فيما أمركم من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغِنى).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (التمسوا الغِنى في النكاح)، وقرأ قوله تعالى: {إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ} [النور: ٣٢].

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، الزواج سنّةُ نبيِّكم ﷺ، وسنّة المرسلين جميعاً، وملّة الأنبياء، يقول الله تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً } [الرعد: ٣٨]، وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: (لو لم يبقَ من أجلي إلا عشرة أيام - اسمع أيها المسلم حفظك الله تعالى - إلا عشرة أيام، وأعلمُ أني أموت في آخرها يوماً، ولي طول على النكاح فيهنّ، لتزوجتُ مخافة الفتنة).

الله أكبر، ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه، يخاف الفتنة في ذلك

الزمان، يخاف الفتنة بين صحابة وصحابيات، فكيف لا يخافها شبابنا اليوم، كيف لا يخافها الشباب في زمن الفضائيات، في زمن طرقات عجت بالمتبرجات، أوليس حريٌّ بشبابنا أن يتزوجوا، أليس جديرٌ بهم أن يقتدوا بنبيّهم صلوات ربي وسلامه عليه، ويسمعوا قول القائل: (لو لم يبق من عمري إلا أسبوعاً واحداً لأحببتُ أن أتزوج، قيل له: لماذا؟ فقال: لكي لا ألقى الله عازباً).

وقال إبراهيم بن ميسرة، قال لي طاوس: لتنكحنّ أو لأقولنّ لك ما قال عمر: (ما يمنعك عن النكاح عجز أو فجور).

فيا سبحان الله العظيم، المانع من النكاح عجزٌ أو فجور، فماذا يقول الشاب الذي عزف عن الزواج؟

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (ليست العُزوبة من أمر الإسلام في شيء، ومن دعاك إلى غير التزوج دعاك إلى غير الإسلام).

فرحمَكَ الله يا أحمد بن حنبل، وصدقت والله، فمن دعاك إلى غير التزوج، دعاك إلى غير الإسلام.

وقال إمامنا مالك رحمه الله: (الإعراض عن الأهل والأولاد ليس مما يحبه الله ورسوله، ولا هو دين الأنبياء عليهم السلام).

فيا من رضيتم بالله رباًّ، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياًّ ورسولاً، ما الذي يمنع عن الزواج؟

بالله عليك أخي الحبيب، أيمنع عن النكاح عجز وتقصير، أيمنع منه تساهل وعدم مبالاة، أيمنع منه انسياقٌ وراء أعداء الدين، أم انجراف في سيل عاداتٍ جاهلية، وتقاليد اجتماعية، مخالفَةً لمنهج الكتاب والسنّة، أم يمنع منه إسرافٌ وتكاليفٌ باهظة ما أنزل الله بها من سلطان؟

بِحَقٍ أمة محمد ﷺ، كان الله في عون الضعيف الذي لا يقدر على

تكاليف الزواج، ما ذنب هؤلاء؟

وما جريرةُ آلاف الفتيات اللاّتي مُنعن الأزواج، كفى بأولياء أمور هؤلاء البنات، كفى بهم طمعاً وجهلاً أن يعضلوهنّ، ويجعلوهُنَّ سلعةً معروضةً للمساومة، أين هؤلاء من السّنّة، أين هؤلاء من قول رسول الله ﷺ :﴿**إذا أتاكم من ترضَوْن دينَه وخُلُقَه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**﴾، رواه الترمذي.

أجهل هؤلاء أنه عند توفّر الدين، تذوب كل ألوان التفاخر؟ أنسيَ هؤلاء أنّ صفوة الخلق، وقدوةَ العالم، محمد ﷺ زوَّجَ رجُلاً بما معه من القرآن، وقال للآخر صلوات الله وسلامه عليه: (التمس ولو خاتماً من حديد)، أخرجه مسلم.

وتأملوا أيها الفضلاء، فلم يقل له صلوات الله وسلامه عليه التمس خاتمًا من الألماس، ولا الذهب ولا الفضة، بل، ولو خاتماً من حديد.

ولم يُذكر عن أحدٍ من سلف هذه الأمة أنه غالَى في مهر، أو أسرف في نفقة، أو باهَى بشيء مما عليه الناس اليوم، لأن منهجهم واضح، ومضبوط بمبدأ التيسير، لأن أسوتهم ﷺ ، ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن حرامًا، فتبارك الله رب العالمين.

إنّ تعقيد أمر الزواج عباد الله، وردّ الأكفاء، يعني أيها الموحدون، يعني أيها المسلمون: فتح الباب على مصراعيه للفساد الخُلُقي، والانحلال والإباحية، فتح الباب على مصراعيه للزنا واللواط والاستمناء، ووضع الشهوة في الحرام.

إنّه يعني انتشار الرذيلة، وظهورَ الدعارة، وذهاب الحياء، وكثرة الزنا، وانتهاك الأعراض، فالله المستعان.

الزواج يا شبيبة الإسلام، جمع الشمل، والتئام الشعث، وطمأنينة

النفس، راحة الضمير، حصول الولد، عمارة الأُسَر، فيه غض للبصر، وحفظ للفرج، وحرث للنسل، ومتاع للحياة، ففي الحديث عند ابن ماجه: ﴿الدنيا متاع، وخير متاعها الزوجة الصالحة﴾.

والمزعج في الأمر اليوم، هو كيفية الزواج، ففي أفراح الكثيرين إلا من رحم الله، من الإسراف ما حدّث ولا حرج، أطعمةٌ من مختلف الأصناف، ومشروبات لأخرى تُضاف، واستمرارُ الفرح لمدة من الأيام، هرْجٌ ومرَج، وصحون تتطاير وخيام، نعمة الله تُرْمَى وتُداس، أين هذا من موافقة السنة؟ أين هذا من قول الله تعالى: { إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ } [الإسراء: ٢٧].

وثمة أمر يجب التنبه له، والتنبيه عليه، وهو ما يحصل بين النساء في الأفراح، من تبرج وسفور، وعُرْيٍ للأبدان، ولباس يستحي منه الشيطان، تصويرٌ بالهواتف النقالاتً، وتناقُلٌ لصور النساء عاريات، أهذا هو النكاح الشرعي.

فلقد كان الحسَنُ البصري رحمه الله يقول لزوجته: أتذهبين إلى المعصية برجليك، وكان هناك إمام من الصالحين إذا سمع بقيام فرح، يضحَك ساعةً ويبكي أخرى، فقيل له ما هذه الحال يا إمام؟ فقال: (أضحَك فرحاً بشابٍّ يعُفُّ نفسَه، ويحصِّنُ فرجه، ويخرِجُ فتاةً من الضياع، وأبكي من كثرة العصيان في الأفراح).

فماذا عسى هؤلاء أن يقولوا لو سمعوا بما يحدث في أفراحنا اليوم؟ والجواب لكم أيها الأخ المبارك، وأنت يا أختاه، وكونوا في الجواب منصفين.

وللنساء بخاصة، فاتقين الله أيتها النساء، وحذارِ حذارِ، من التبرج والسفور، حذارِ حذار من عصيان الغفور، هُدِمَتْ بسببه

بيوت، وطُلِّقَتْ نساء، وُيُتِّم أطفال، فالله المستعان.

ولتكن نساء النبي ﷺ لكنَّ قُدوة، واتقوا الله أيها الرجال واعملوا بقول ربكم:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾} [التحريم: ٦].

واسمعن أيتها النساء قول ربكنّ لنساء نبيّه، وهنَّ من كنَّ؟ فلقد كنّ أتقى وأنقى، وأطهر وأعف:{يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ} [الأحزاب: ٣٢ - ٣٣].

فيا أولياء الأمور، ويا أيها الشباب، اللهَ الله في الزواج، فمن بلغ الباءة فليتزوج، والله الله في الأفراح، اضبطوها بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ، فالخير كل الخير في الإتّباع، والشر كل الشر في الإسراف والتبذير والابتداع.

قال الله تعالى:{وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾} [النور: ٣٢].

وفي الحديث:《**ثلاثة حُقَّ على الله عونهم – وذكر منهم – النّاكح يريد العفاف**》، رواه الترمذي.

فيا إخوتي، شبابًا وفتيات، الزواج الزواج، والعفاف العفاف، غضوا بالزواج أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكوّنوا أسرًا، وافتحوا بيوتًا، ونسأل الله لي ولكم التوفيق.

وقفة أيها الشاب، وقفة مع الزواج ومشروعيته، وفوائده وأهميته، تجعلك تُقدم عليه دون تردد، وتجعلك من الذين لن يتأخروا بعد هذه الوقفة

عن الزواج، بل والله لو أخلصت النية، لتكونن لغيرك من الناصحين.

فاللهم إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغني، إنك قريب مجيبُ الدعوات يا رب العالمين.

* * *

وقفة: مع النظافة

لا يشك عاقل، ولا ينكرُ لبيب، أن الإسلام دين السماحة الحنيف، تعاليمه كلها تعود على الإنسان بما يفيده في الدنيا والآخرة.

ومن تلك التعاليم التي يجب أن نقف عندها، ما حثّ عليه ديننا من النظافة، فالنظافة من الإيمان، وهي شعار المؤمنين.

ولقد اعتنى الإسلام بالنظافة عناية فائقة، واهتم بها اهتمامًا بالغًا، وأولاها رعاية خاصة، وذلك لما لها من أثر عظيم على صحة الأفراد والمجتمعات، وسلامة الأبدان ونضارتها، وجمال المدن وهيبتها.

النظافة عنوان المؤمنين، وسمة من سماتهم، ومظهر من مظاهرهم، يقول رسول الهدى ﷺ :**﴿النظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه إلى الجنة﴾**، رواه الطبراني.

ولك أنت تتخيل أخي الحبيب، الصورة الجميلة، للصلة بين الطهارة الروحية، والطهارة البدنية، فإذا ما كانت الطهارة الروحية هي بوابة الإيمان، ومدخل الإسلام، فإن الطهارة البدنية شرط لصحة كثير من العبادات، وقد صدر الفقهاء كتب الفقه بكتاب الطهارة، فكان ولا بدّ من الطهارة للثياب،{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾} [المدثر: ٤]، وفي الصلاة كانت الطهارة، واشتُرِط الوضوء، وكذلك مشروعية الاغتسال، فالنظافة النظافة، وهي من الإيمان.

بل حرص سيد الخلق محمد ﷺ ، على نظافة أصحابه، وجميل هيئتهم، ففي الموطأ للإمام مالك رحمه الله، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (نظر رسول الله ﷺ إلى صاحبٍ لنا يرعى ظهرًا لنا وعليه بردان قد خَلِقَا، فقال رسول الله ﷺ :**﴿أما له غير**

هـذين؟﴾ فقلتُ: بلـى لـه ثوبـان فـي العيبـة " مكـان لوضـع الثيـاب "، كسوته إياهما، فقال:﴿ادعه فليلبسهما﴾، فلبسهما.

فيـا أخـي العزيـز، ويـا أختـاه الفاضـلة بصـورة خاصـة، احرصـوا على نظافة بيوتكم، فإن نظافة البيوت مما حث عليه ديننا القويم، فهي المأوى والملاذ، والمسكن والمقر، ومكان الأكل والشرب، هي مكـان الراحة، واجتماع الأهل، وملتقى الأحباب، يقول رسول الله ﷺ :﴿**إن الله طيب يحب الطّيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحـب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود**﴾، رواه الترمذي.

ولا يقتصـر الأمـر علـى نظافـة الثيـاب، والأبـدان، والبيوتـات فحسـب، ولكـن يجـب ألاّ ننسـى نظافـة المسـاجد، والطريـق، والمـدن، والبلدان.

ولئن كان الغربُ يدعو إلـى يومٍ وطنـي، أو يـوم عـالمي للنظافـة، فالنظافة بالنسبة لنا ديدننا، وهي من تعـاليم ديننـا، وربنـا تعـالى جميل يحب الجمال، ونظيف يحب النظافة.

فوقفة مع النظافة وأهميتها يا أخي، وستجد نفسك ساعيًا لإزالة ما قد ران على الثياب، أو البدن، أو البيت، أو المسجد، أو الطريـق، أو المدرسة،....

من اليوم، الاهتمام بنظافتنا، ونظافة أبنائنا، وبناتنا، وبلادنا، وكل ذلك من صنائع المعروف، وصنائع المعروف تقي مصارع السوء.

فيا رب، يا ربّ، يا رب، مُنّ علينا بنظافةٍ من عندك، تقينا به من الأدران والأمراض، يا ذا العرش المجيد.

* * *

وقفة: مع الزينة والجمال

مرّ معنا أيها الحبيب وقفة مع النظافة، وما أجمل أن نتوج النظافة بوقفة مع الزينة والجمال، وليس ذا من ضرب الخيال، أو أنه تَجنٍّ على ديننا الحنيف، بل والله وبالله وتالله، لا يسعك إلا أن تحمد الله تعالى على هذا الدين القويم، الذي اشتمل على جميع مناحي الحياة، فعن الزينة والجمال، ولنبدأ من قول الله تعالى:{يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١} [الأعراف: ٣١].

إنه نص صريح وواضح، يأمر الإنسان، بأن يأخذ زينته، وأن يتجمّل عند كل صلاة، وعند كل غدوٍّ للمسجد، بل وفي كل مكان.

ولا عجبًا أن يكون ذلك كذلك، فالله عز اسمه عاب على أولئك القوم، الذين حرّموا على أنفسهم بعض ما أحل الله لهم من مأكل ومشرب، أو ملبسٍ وزينة، وبيّن سبحانه أنه جعلها خالصة لعباده المؤمنين تكريمًا لهم، فقال عليمًا:{قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢} [الأعراف: ٣٢].

وفي الحديث، يقول المصطفى ﷺ :《**كلوا واشربوا وتصدقوا، والبسوا في غير مخيلة ولا سرف، إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**》، رواه البخاري.

أيها الأحبة، لقد كان قدوتنا صلوات الله وسلامه عليه، حريصًا على حسن مظهره، وجمال هيئته، ونظافة بدنه وثوبه، (وكان إذا قدم عليه الوفد لبس أحسن ثيابه، وأمر علية أصحابه بذلك)، رواه أبو نعيم.

وعند البيهقي، (وكان - ﷺ - يلبس برده الأحمر في العيدين

والجمعة)، (ولا ينام إلا والسواك عنده، فإذا استيقظ بدأ بالسواك حفاظًا على نقاء وطيب رائحة فمه)، رواه أحمد.

بل لقد كانت له ﷺ : (سُكة يتطيب منها)، وكان: (يكثر من دهن رأسه وتسريح لحيته)، رواه أبو داود وأحمد.

بأبي أنت وأمي وروحي يا رسول الله، فلقد كان من وصاياه لأصحابه:﴿**إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش**﴾، رواه أحمد.

إخوتي الأفاضل، تلك هي هيئة قدوتنا، وحبيبنا ﷺ ، وتأسى به أصحابه، فكانوا يحرصون كل الحرص على كل ما يحرص عليه محمد ﷺ ، فلنحرص يا إخوتاه، فلنحرص على أخذ زينتنا، وأن نتحلى بالزينة والجمال، في غير سرف ولا مخيلة، ولا بطرٍ للحق، ولا غَمطِ للناس، ولا كبرٍ ولا رياء.

ولكن، فليكن لنا في رسول الله أسوة حسنة، فنطهر ثيابنا، ونحسّن مظهرنا، ونسرّح شعرنا، ونتطيب بما أباحه الله لنا، ولنتذكر دائمًا، إن الله جميلٌ يحب الجمال.

ففي جمال الهيئة، وحسن المظهر، أيها القارئ حفظك الله تعالى، في ذلك أثر طيبٌ على النفس وعلى الآخرين، حيث تنبعث البهجة والسرور في النفوس، والسعادة في المجتمع، فيحيا الناس بجدّ وإقدام، في رفعة بلا كبر، وتواضعٍ بلا ذلة، بعيدًا عن الخمول والضعف والهوان.

فاللهم ارزقنا زينة القول، وزينة المظهر، وزينة الأعمال والسلوك، وارزقنا جمال الخِلقة والخُلق، يا رب العالمين.

* * *

وقفة: مع ابن الأدهم

يا أخي الكريم، تأمل معي يرعاك الله قصص الأولين، فهذا ابن الأدهم جاءه رجل، فقال له يا أبا إسحاق: إنـي مسرفٌ على نفسي، فأعرض عليّ ما يكون لها زاجرًا، ومستنفذًا لقلبي، قال إن قبلت خمس خصالٍ وقدرت عليها لم تضرّك معصية، ولم توبقك لذة.

قال: هات يا أبا إسحاق.

قال: أما الأولى، فإذا أردت أن تعصي الله عز وجل، فلا تأكل من رزقه، قال: فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه؟

قال له: يا هذا، أفيحسنُ أن تأكل من رزقه وتعصيه؟!

قال الرجل: لا، هات الثانية.

قال ابن الأدهم: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئًا من بلاده، فقال الرجل: هذه أعظم من الأولى، فإن كان المشرق والمغرب وما بينهما له، فأين أسكن؟

قال له: يا هذا أفيحسنُ أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده وتعصيه؟ قال: لا، هات الثالثة.

قال: إذا أردت أن تعصيه، وأنت تأكل من رزقه، وفي بلاده، فانظر موضعًا لا يراك فيه فاعصه فيه.

قال يا إبراهيم: كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر؟

قال يا هذا، أفيحسنُ أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟!

قال: لا، هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملَك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحًا، وأعمل لله عملاً صالحًا، قال: لا يقبل مني.

قال: يا هذا، فأنت إذا لم تقدر تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟!

قال الرجل: هات الخامسة.

قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم، قال: لا يدعونني ولا يقبلون مني، قال: فكيف ترجو النجاة إذًا؟

فقال له الرجل: يا إبراهيم بن الأدهم، حسبي حسبي، أنا أستغفر الله وأتوب إليه.

ولزم ذلك الرجل ابن الأدهم في العبادة، حتى فرّق الموت بينهما.

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، إنها قَصص الصالحين، ولقد كان في قصصهم عبرة، أفما آن الأوان لنعتبر.

فهيا يا أحبتي، ولنحاول أن نطبق هذه الخمس معنا، وهل سنقوى على ذلك؟!

فلا لعصيان الله تعالى، لا للعصيان، لأننا نأكل من رزق الله، ونسكن أرض الله، ونحيا تحت نظر الله، ولا نستطيع دفع ملك الموت إذا قَدم، كما إننا لا نملك أن نرد زبانية النار عنا.

فوقفة أيها الإخوة، ونظرة تأمل وتدبر، تجدنا وقد تخلصنا من براثن الذنوب، وأسرعنا إلى التوبة، ونقول: حسبنا حسبنا، نستغفر الله ونتوب إليه.

رزقني الله وإياكم توبة نصوحًا، وعملاً صالحًا متقبلاً، وصدق الله العظيم،{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧].

* * *

وقفة: مع ابن العوام

يعطينا هذا البطل مثلاً عظيمًا على الصبر والمصابرة، إنه عروة بن الزبير بن العوام، فرضي الله عنه وأرضاه، وأسكنه فسيح جناته.

إنه العالم المبدع، والشيخ الجليل، آلمته رجله، وهو في زيارة لدمشق زمن خلافة الوليد بن عبد الملك.

فاشتدّ برجله الألم، وقرر الأطباء قطعها، وعرضوا عليه أخذ مسكّن يسكنُ به الألم أثناء قطع الرجل.

فيأبى قائلاً: (إني ما أحب أن أُسلب عضوًا من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك لأحتسبه عند الله).

إنها القلوب التي سكنها الإيمان، والنفوس التي اطمأنت بالله ولله، فعرفت قدر ربها، ورضيت بقضاء الله وقدره، فسبحان الله رب العالمين.

ويرافقه في سفره أحب أبنائه، وهو محمد بن عروة بن الزبير بن العوام، فيوقعه فرسه فيموت، فما كان من إمامنا عروة إلا أن قال:{لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا} [الكهف: ٦٢].

الله أكبر، وسبحان الله العظيم، فهل لك أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، هل لكما أن تتخيلوا رجلاً جلدًا يصبر بهذا القدر!

وهل يمكن لنا أن نصاب بمثل مصابه فنصبر؟ وما هو الفارق بيننا وبين عروة بن الزبير بن العوام؟

فيا أيها الأحبة في الله، الصبر الصبرَ عند المصائب والمدلهمات، وليكن لكم في عروة وأمثاله الأسوة الحسنة.

واعلموا أن ما يُعين على الصبر أمور ثلاثة:

الأول: أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى، ابتلى بالشدائد والمحن، من هم أفضل منك عند الله تعالى، فلقد ابتلى الأنبياء، والرسل، والصالحين.

ولقد ابتلى محمدًا ﷺ بولده، فكان مثالاً في الصبر حين قال:﴿والله إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون﴾.

الثاني: أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يبتل عباده ثم يتركهم بدون أجر وثوابٍ على صبرهم، ورضاهم بقضائه وقدره تعالى، بل لقد جعل للصابرين ثوابًا لا يعد ولا يحد، قال تعالى:{إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ} [الزمر: ١٠].

والأمر الثالث: أن الله جلت قدرته ابتلاك بمصيبة، ولقد ابتلى غيرك بأعظم منها، فمن فقد رجله عليه أن يتذكر من حُبسوا عن الحركة مطلقًا، ومن فقد عينًا وأبصر بأخرى، عليه أن يحمد الله، وينظر لمن فقدوا مطلقًا نعمة البصر،... وهكذا.

فاللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا، إنك أنت الرحمن الرحيم.

* * *

وقفة: مع الدواء الناجع

ليس للإنسان من بد في هذه الحياة، إلا أن يرى العسر واليسر، والسرور والحزن، والصحة والسقم.

وإذا مرض الإنسانُ ادلهمّ خطبه، وعظمت مصيبته، وضاقت به نفسه، وتراه حينها في حيرة من أمره، يبتغي شفاء عاجلاً يرفع المرض، ويزيل السقم، وما إن يُرشد إلى طبيب جيد إلا أسرع إليه، لعل الشفاء يكون على يديه.

ذلك هو حال الكثيرين، والأقل، هم أولائك الذين سكن الإيمان قلوبهم، فيسرعون إلى الطبيب أخذًا بالأسباب، ويتوكلون في الشفاء على رب الأرباب.

ومهما يكن من أمرٍ لهؤلاء وأولائك، فينبغي التوكل على الله تعالى في الشفاء، قال تعالى:{ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾} [الشعراء: ٧٨ - ٨٠].

كما ينبغي الأخذ بالأسباب، حيث: " اعقلها وتوكل "، ولذا دعني أيها القارئ الكريم، أن أذكرك ونفسي بدواء وصفه أحد الصالحين، لمن جاء يستطبُّ عنده.

حيث جاء رجل إلى سفيان الثوري رحمه الله تعالى - وبعضهم ينسبها لغيره -، فقال: يا سفيانُ صف لي دواءً.

فقال سفيان رحمه الله: وما داؤك؟

فقال الرجل: إني ابتليت بداء البعد عن الله عز وجل.

فقال سفيان رحمه الله للرجل، واصفًا له الدواء: (يا هذا، عليك بعروق الإخلاص، وورق الصبر، وعصير التواضع، ضع ذلك كله

في إناء التقوى، وصُب عليه ماء الخشية، وأوقد تحته نار الحزن، وصفّه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكفّ الاستغفار، وتمضمض بالورع، وابتعد عن الحرص والطمع، تشفى من دائك بإذن الله عز وجل).

فيا أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، ذلك هو الدواء الناجع، الذي لا يمكن أن يوجد في أرقى صيدليات العالم، ولا يمكن أن يصفه عباقرة الطب في عالم اليوم.

إنه كلمات من سفيان الثوري رحمه الله بأسلوبٍ بسيط، وبعبارات جميلة، وألفاظ منتقاة، ولكن مضمون هذا الدواء عظيمٌ عظيم.

فلقد ابتلينا جميعًا بداء البعد عن الله تعالى، إلا من رحم الله، وقليل ما هم، فما أحوجنا لتلكم الأفعال، ومن منا يستغني عن كلٍ من: (الإخلاص، والصبر، والتواضع، والتقوى، والخشية، والحزن، ومراقبة الله تعالى، والاستغفار، والورع، والابتعاد عن الحرص والطمع).

فهيا إخوتي لهذه الأمور كلها، وأسأل الله لي ولكم شفاءً من كل داء، إنه هو الحي القيوم.

* * *

وقفة: مع السعادة

يطلبها كل إنسان، ويتغاياها جميع الناس، وهي لا ترى بالعين، ولا تشترى بالمال، ولا يمكن وضعها في الأدراج ولا الصناديق.

إنها السعادة، ذلك الشعور الخفي الذي يختلج بين جوانح الإنسان، فيطمئنُ قلبه، وتصفو نفسه، ويشعر بانشراح صدرٍ وارتياح ضمير.

السعادة أيها الأحبة في الله، شعور بداخل الإنسان، فينعكس على ظاهره، فتنتشر الابتسامة على الشفاه، ويأتي السرور إلى العين فيزيدها جمالاً، وينفرد الوجه، ليخبر الناظرين بأن صاحب هذا الوجه سعيدًا.

السعادة تكون للجميع، ولكن طعم السعادة مختلف، ويختلف من سبب لآخر، فبعض السعداء، سبب سعادتهم قوة إيمانهم، وصفاء عقيدتهم، وهؤلاء هم السعداء حقًا.

من هؤلاء السعداء، من يسعد بذكر الله، وتحلو حياته بسماع آيات الله، وليس ذلك بغريب على من توغل الإيمان في صدورهم، وسكن سويداء قلوبهم، إذ{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} [الرعد: ٢٨].

ومثل سابقيهم من ينعمون بالسعادة، لماذا؟{ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾} [الأنفال: ٢].

فيا لله أيها الأحبة، ما أجمل الحياة الإيمانية، إذ إنها حياة السعداء، فلا بالشقاء يشعرون، ولا للشقاء يعيشون، ولم يكونوا كأولئك الذين أعرضوا عن ذكر ربهم، فحلت بهم الشقوة، وأحاط بهم الضنك، واسودت معيشتهم، قال تعالى:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ

ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ} [طه: ١٢٤، ١٢٦].

إن السعداء اليوم، هم السعداء غدًا، وأشقياء اليوم، حتمًا سيكونون من الأشقياء غدًا، ففي القرآن الكريم،{ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾} [الإسراء: ٧٢].

فهيا أيها المسلم، وهيا أيتها المسلمة، ولنكن من السعداء، فما الذي يُشقينا، ونحن نعلم بأن أمر الله قدرًا مقدورًا.

عجبًا والله عجبًا، كيف لا يكون سعيدًا، من علم أن الحياة لذة عابرة، وأن الآخرة هي دار القرار، وعجبًا كيف يشقى من توكل على الله، وأحسن الظن بربه، ورضي بقضاء الله وقدره.

السعادة هي التعلق بالله، والمداومة على تلاوة كتاب الله، والإكثار من ذكر الله، ومن الصلاة على رسول الله ﷺ .

أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، مع هذه الوقفة، لا للحزن، لا للقلق، لا للتوتر، لا للهم، ولا للغم، ولا للشقاء، ولا للاضطرابات النفسية.

من اليوم، نحن سعداء، سعداء بربنا، وسعداء بديننا، وسعداء بنبينا ﷺ ، وسعداء بقرآننا، وسعداء بأعمالنا الصالحة، وسعداء بما قضاه الله وقدره.

فاملأ قلبك إيمانًا وفرحًا، وكن من السعداء، وتذكر سعادة السالفين، يأوي أحدهم إلى فراشه لا يجد قوتًا يطعمه، ويتذكر أنه صلّى العشاء في جماعة فيبيتُ سعيدًا.

ويعذب أحدهم عذابًا شديدًا، فينكسر العظم، ويتمزق اللحم، وينزف الدم، ويسيل الدمع، ويعلم أن كل ذلك في سبيل الله، فيهونُ

كل شيء ويعيش سعيدًا.

فالله الله إخوتي، اطردوا الأحزان من قلوبكم، وارسموا بأنفسكم البسمة على شفاهكم، وأدخلوا السرور على غيركم، فإدخال السرور على الناس مما يُدخل إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

لأجلك يا أخي، ولأجلك أنت، كن سعيدًا، ولأجل دينك، ولأجل والديك، ولأجل أولادك، ولأجل صحتك، ولأجل مجتمعك، فكن من السعداء.

فالسعادة ليست ثراءً فاحشًا، أو مالاً كثيرًا، أو جاهًا عظيمًا، أو سلطانًا نافذًا، أو صحة وقوة، أو عشرة من الولد، أو زوجًا لا مثيل له بالنسبة للنساء.

السعادة مع تقوى الله، قد تكون آيات من كتاب الله فتجد السعادة معها، وربما مع تقوى الله ومذقة لبنٍ تكونُ سعيدًا، أو مع تقوى الله ونومٍ هانيءٍ تكون من السعداء.

فدع عنك زخارف الدنيا، وارم وراء ظهرك الهموم، وأقبل على السعداء، وكن منهم.

فاللهم أسعدنا بديننا وإيماننا، وما تفضلت به علينا، وارزقنا الرضا، يا ذا العرش المجيد.

* * *

وقفة: مع البداية

أتفقُ معك أخي الحبيب، أن هذه الأسطر هي آخر وقفة في هذا الكتاب، وقد جعلتُها وقفة البداية، حيث إنني أريد منك أيها القارئ الكريم، وقد أنهيتَ قراءة هذه الوقفات، أن تحوّلها واقعًا ملموسًا، وأن تكون آخر صفحات كتابي هذا، هي أول صفحات حياتك الجديدة، فتبدأ بحياة ملؤها التفاؤل، والرضا بقضاء الله وقدره، مع إحسان الظن بالله، والتحلي بالصبر، والرفق، فإن ذلك سينفعك كثيرًا في دنياك وآخرتك.

يا أخي العزيز، ويا أختي الفاضلة، هيا لحياة جديدة، تكون بإذن الله أفضل، هيا لحياة ترضي الله جل وعلا، وترضي رسول الله ﷺ .

اغتنموا أيها الفضلاء كل يومٍ جديد، فإنه لا يعود إلى يوم القيامة، واجعلوا خير أعمالكم خواتمها، واسألوا الله التوفيق.

وإذ أنصحك بذلك، وقد وضعت بين يديك هذا الكتاب، فإني لأرجو من الله العلي القدير أن ينفعني وإياك به، وأن يجعله بالنسبة لي من العمل الصالح الباقي بعد الموت، وأن ينفع به جميع المسلمين في كل زمان ومكان، وأن يجعله في ميزان حسنات أبوي، وحسناتي، وحسنات سائر المؤمنين.

وأشير إلى أن ما كان في هذا الكتاب من صوابٍ فمن الله وحده لا شريك له، وما كان فيه من سهوٍ أو خطأ أو نسيان، فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه براءٌ، واليقين كل اليقين، بأن الكتاب كالمكلف، لا يرفع عنه القلم، وسيظل عرضة للمدح، والنقد، والتقويم، ما بقي بأيدي الناس.

فمن استفاد منه خيرًا، فلا يبخل علي بدعوة صادقة، لعل الله أن

يتجاوز عني وعنه، لقول النبي ◘ :♂من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملَك الموكل به: آمين ولك بمثله▬، رواه مسلم.

ولا أبخل، أن أدعو الله لكل من قرأ هذا الكتاب، وتعلم منه شيئًا، وعلمه لمن حوله، ومن أسهم في نشره، أو أعان على إعداده، ولو بالنصيحة، وأن يجمعنا الله تعالى جميعًا في جنته، إخوانًا على سرر متقابلين.

والله تعالى أعلى وأعلم، وأجل وأعظم، وأعدل وأحكم، وصلى الله وسلم على نبيه المصطفى، ورسوله الأكرم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

والله ولي التوفيق، وهو من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

عبد السلام جمعة زاقود

Zagood1984@yahoo.com

* * *

فهرس المصادر والمراجع

لقد أُنجز هذا الكتاب بفضل الله تعالى، ثم من خلال الاستعانة بعدد من المصادر والمراجع، ومن أهمها:

أولاً: كتاب الله تعالى، القرآن الكريم.

- مصحف الجماهيرية، رواية الإمام قالون عن نافع المدني، طبعة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا.

ثانيًا: كتب التفسير.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ، 2000م.
- تفسير ابن كثير، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ، 1999م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط10، 1402هـ، 1982م.
- من لطائف التفسير، أحمد فرح عقيلان، دار اليقين، مصر، ط1، 1419هـ، 1998م.

ثالثًا: كتب الحديث.

- أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر، بدون سنة نشر.
- أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1989.

- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، المطبعة الخيرية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1330هـ.
- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه، سنن ابن ماجه، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، بدون سنة نشر.
- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة المعروف بالترمذي، سنن الترمذي، دار الفكر، القاهرة، مصر، بدون سنة نشر.
- سليمان بن الأشعث السجستاني المعروف بأبي داوود، سنن أبي داوود، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، بدون سنة نشر.

رابعًا: كتب اللغة.

- ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، بدون سنة نشر.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، 2005.

خامسًا: كتب السيرة والتاريخ.

- التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1418هـ، 1998م.
- سيرة عمر بن عبد العزيز، محمد عبد الله بن عبد الحكم، تحقيق أحمد عبيد، دار العلم للملايين.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، وحسين الأحد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- تاريخ الخلفاء، السيوطي، تحقيق، سعد كريم الفقي، دار اليقين، المنصورة، مصر، ط1، 1423هـ.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، بيروت، لبنان.
- حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان.
- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق وليد محمد سلامة، خالد ابن محمد بن عثمان، مكتبة الصفاء، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ، 2001م.
- البداية والنهاية، لابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- سير أعلام التابعين، صبري بن سلامة شاهين، دار القاسم، الرياض، السعودية، ط1، 1423هـ.
- من أعلام السلف، أحمد فريد، الدار السلفية، ط2، 1420هـ.
- أبطال ومواقف، أحمد فرح عقيلان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط2، 1418هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ.

سادسًا: كتب الرقائق والدعوة والآداب.

- صيد الخاطر، لابن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن عبد البر، دار اليقين، المنصورة، مصر.
- إحياء علوم الدين، للغزالي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،

ط2، 1417هـ.

- الابتلاءات، أساليب الكفرة في محاربة الدعوة في عصر النبوة، حمود عبد الله المطر، دار طويق، الرياض، السعودية، ط1، 1416هـ.
- الفوائد، لابن القيم، تحقيق محمد عيون، دار البيان، بيروت، لبنان.
- الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ.
- زهرة البساتين من مواقف العلماء الربانيين، سيد بن حسين عفاني، دار العفاني، القاهرة، مصر، ط1، 1424هـ.
- فقه الأدعية والأذكار عمل اليوم والليلة، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط1، 1423هـ.
- الوابل الصيب، لابن القيم، دار البيان، دمشق، سورية، ط2، 1408هـ.
- الداء والدواء، لابن القيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط2، 1422هـ.
- مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاروق السامرائي، دار الوفاء، المنصورة، مصر.
- مواقف إيمانية، أحمد فريد، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط4، 1424هـ.

* * *

الفهـرس

* * *

تم بحمد الله تعالى